عبد الله بن وهب يجيب أبا ثواب

قال ابن إسحاق: فأجابه عبد الله بن وهب، رجل من بني تميم ثم من بني أُسَيِّد، فقال [من الوافر]:

بِشَرْطِ اللَّهِ نَضْرِبُ مَنْ لَقِينَا ... كَأَفْضَلِ مَا رَأَيْتُ مِنَ الشُّرُوطِ
وَكُنَّا يَا هَوَازِنُ حِينَ نَلْقَى ... نَبُلُّ الْهَامَ مِنْ عَلَقٍ عَبِيطِ[1]
بِجَمْعِكُمُ وَجَمْعِ بَنِي قَسِيٍّ ... نَحُكُّ الْبَرْكَ كَالْوَرَقِ الْخَبِيطِ[2]
أَصَبْنَا مِنْ سَرَاتِكُمُ وَمِلْنَا ... نُقَتِّلُ فِي الْمُبَايِنِ وَالْخَلِيطِ
بِهِ الْمُلْتَاثُ مُفْتَرِشٌ يَدَيْهِ ... يَمُجُّ الْمَوْتَ كَالْبَكْرِ النَّجِيطِ[3]
فَإِنْ تَكُ قَيْسُ عَيْلاَنٍ غِضَاباً ... فَلاَ يَنْفَكُّ يُرْغِمُهُمْ سَعُوطِي

أبيات لخديج بن العوجاء النصري

وقال خَديج بن الْعَوْجَاء النَّصْرِيّ [من الطويل]:

لَمَّا دَنَوْنَا مِنْ حُنَيْنٍ وَمَائِهِ ... رَأَيْنَا سَوَاداً مُنْكَرَ اللَّوْنِ أَخْصَفَا[4]
بِمَلْمُومَةٍ شَهْبَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا ... شَمَارِيخَ مِنْ عُرْوَى إِذَنْ عَادَ صَفْصَفَا[5]
وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سَرَاتُهُمْ ... إِذَنْ مَا لَقِينَا الْعَارِضَ الْمُتَكَشِّفَا[6]
إِذَنْ مَا لَقَيْنَا جُنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ... ثَمَانِينَ أَلْفاً وَاسْتَمَدُّوا بِخِنْدِفَا[7]

ذِكْرُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ بَعْدَ حُنَيْنٍ، فِي سَنَةِ ثَمَانٍ

وَلَمَّا قَدِمَ فَلُّ ثقيف الطائفَ أَغْلَقُوا عليهم أبوابَ مَدِينَتِهَا، وَصَنَعُوا الصَّنَائِعَ للقتالِ، ولم يَشْهَدْ حُنَيْناً ولا حِصَارَ الطائف عُرْوَةُ بن مسعود، ولا غَيْلاَن بن سَلَمَة؛ كانا بِجُرَشَ يتعلَّمان

---

(١) الهَامُ هنا: الرءوسُ، والعَلَقُ: الدَّمُ، والعَبِيطُ: الطَّرِيُّ، وقد تقدَّم تفسيرُهُما.

(٢) بنو قَسِيّ يعني: ثَقيفاً، والبَرْكُ: الصَّدْر؛ والخبيطُ: هو الذي يُخْبَطُ أي: يُضْرَبُ بالعِصِيِّ لِيَسْقُطَ فتأكُلَهُ المَاشِيَةُ.

(٣) المُلْتَاثُ هنا: اسمُ رَجُلٍ، والبَكْرُ: الفَتِيُّ مِنَ الإبل، والنَّحِيطُ: الذي يُرَدِّدُ النَّفَسَ في صَدْرِهِ حتَّى يُسْمَعَ له دُوِيٌّ.

(٤) سواداً يعني: أشْخاصاً على البُعْدِ، والأَخْصَفُ: الذي فيه أَلْوانٌ.

(٥) ومَلْمُومَةٌ: أي: كتيبةٌ مُجْتَمعةٌ، وشَهْبَاءُ يعني: مِنَ السِّلاح، والشَّماريخ: أعالي الجِبال، واحدُها شِمْراخٌ، وَعَدْوَى هنا: اسمُ جَبَلٍ يُرْوَى بالدَّال والرَّاءِ. والصَّفْصَفُ: المُسْتَوي من الأَرْض.

(٦) العارضُ هنا: السَّحَابُ، والمُتَكَشِّفُ: الذي التُفَّ بعضُهُ بَبَعْضٍ.

(٧) ينظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٨٢).

صنعة الدَّبَّابات والمجانيق وَالضُّبور[1]

سير النبي إلى الطائف وقصيدة كعب بن مالك

ثم سَارَ رسولُ الله ﷺ إِلَى الطائفِ ـ حين فرغ من حنين ـ فقال كعب بن مالك حين أَجْمَعَ رَسُولُ الله ﷺ السَّيْرَ إلى الطائفِ [من الوافر]:

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ ... وَخَيْبَرَ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا[2]

نُخَبِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ ... قَوَاطِعُهُنَّ دَوْساً أَوْ ثَقِيفَا

فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أُلُوفَا[3]

وَنَنْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ ... وَتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا[4]

وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرْعَانُ خَيْلٍ ... يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعاً كَثِيفَا[5]

إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ ... لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا[6]

بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٌ ... يُزِرْنَ الْمُصْطَلِينَ بِهَا الْحُتُوفَا[7]

كَأَمْثَالِ الْعَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا ... قُيُونُ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيفَا[8]

تَخَالُ جَدِيَّةَ الْأَبْطَالِ فِيهَا ... غَدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيًّا مَدُوفَا[9]

أَجَدَّهُمُ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ ... مِنَ الْأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفَا؟[10]

---

(١) الدَّبَّابات: آلاتٌ تُصْنَعُ من خَشَبٍ وَتُغَشَّى بجُلودٍ وَيَدْخُلُ فيها الرِّجالُ وَيَتَّصِلُون بحائِط الحِصْن فَيَنْقُبونَهُ على أَهْلِهِ، والمجانيقُ: معروفةٌ. والضُّبُورُ: قد فسَّرها ابن هشام في بعض الروايات فقال الضُّبور: شيءٌ يُشْبِهُ رءُوسَ الأسْفاطِ أو نَحْوه يُتَلَقَّى بها عند الانْصِرَافِ.

(٢) تِهامَةُ: ما انخَفَض من أرض الحجاز. الرَّيْبُ: الشَّكُّ. وأَجْمَمْنَا أي: أَرَحْنَا.

(٣) الحاضِنُ: المرأة التي تَحْضُنُ وَلَدَها وساحَةُ الدَّار: وَسَطُهَا، ويُقال: فِنَاؤُها.

(٤) العُروشُ هنا: سُقُفُ البُيُوت، وَوَجٌّ: موضعٌ، وخُلوفٌ هنا معناه: غائِبون، وقد يكونُ الخُلوفُ في غير هذا الموضع الحَاضِرين وَهُو من الأَضْدَادِ.

(٥) السَّرْعَانُ: المُتَقَدِّمون. وكَثِيفٌ: مُلْتَفٌّ، ومن رواه كَشِيفاً بالشين، فمعناه: ظاهِرٌ.

(٦) رَجِيفاً: من رواه بالراء فيعني به: الصَّوْتُ الشَّدِيد مع زَلْزَالٍ مأخوذٌ من الرَّجْفَةِ، ومن رواه: وَجِيفاً بالواو فمعناه: سَرِيٌّ يُسْمَعُ صوتُ سُرْعَتِهِ.

(٧) القَواضِبُ: السُّيوفُ القاطعةُ، والمُرْهَفَاتُ: القاطِعَةُ أيضاً، والمُصْطَلون: المُباشِرون لَها.

(٨) العقائِقُ: جمعُ عقيقَةٍ وهي شُعاعُ البَرْقِ هنا، وكَتيف: جمع كتيفةٍ وهي صفائح الحديد التي تُضْرَب للأبْواب وغَيْرِها.

(٩) الجَدِيَّة: الطريقَةُ من الدَّم، والزَّحْفُ: دُنُوُّ النَّاس بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ. والجَأْدِيُّ: الزَّعْفَرانُ، وَمَدُوفٌ: بالدال المهملة معناهُ: مُخْتَلِطٌ.

(١٠) عريفٌ: هنا بمعنى: عارف.

يُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّا قَدْ جَمَعْنَا ... عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالنُّجُبَ الطُّرُوفَا[1]

وَأَنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ ... يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمُ صُفُوفَا

رَئِيسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صُلْباً ... نَقِيَّ الْقَلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوفَا[2]

رَشِيدَ الْأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ ... وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزِقاً خَفِيفَا[3]

نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبّاً ... هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَءُوفَا

فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السِّلْمَ نَقْبَلْ ... وَنَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُداً وَرِيفَا[4]

وَإِنْ تَأْبَوْا نُجَاهِدْكُمْ وَنَصْبِرْ ... وَلاَ يَكُ أَمْرُنَا رَعِشاً ضَعِيفَا[5]

نُجَالِدُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنِيبُوا ... إِلَى الإِسْلاَمِ إِذْعَاناً مُضِيفَا[6]

نُجَاهِدُ لاَ نُبَالِي مَنْ لَقِينَا ... أَأَهْلَكْنَا التِّلاَدَ أَمِ الطَّرِيفَا؟[7]

وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلَبُوا عَلَيْنَا ... صَمِيمَ الْجِذْمِ مِنْهُمْ وَالْحَلِيفَا[8]

أَتَوْنَا لاَ يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءً ... فَجَدَّعْنَا الْمَسَامِعَ وَالأُنُوفَا[9]

بِكُلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ ... نَسُوقُهُمُ بِهَا سَوْقاً عَنِيفَا[10]

لِأَمْرِ اللَّهِ وَالإِسْلاَمِ حَتَّى ... يَقُومَ الدِّينُ مُعْتَدِلاً حَنِيفَا

وَتُنْسَى اللاَتُ وَالْعُزَّى وَوَدٌّ ... وَنَسْلُبُهَا الْقَلاَئِدَ وَالشُّنُوفَا (٣٤٦/أ)[11]

فَأَمْسَوْا قَدْ أَقَرُّوا وَاطْمَأَنُّوا ... وَمَنْ لاَ يَمْتَنِعْ يَقْبَلْ خُسُوفَا [١٠١٠][12]

[١٠١٠] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٩٥ـ٣٩٦) عن ابن إسحاق.

---

(١) النُّجُبُ: جمعُ نَجيب، وهو العَتِيقُ الكريمُ.

(٢) عَزُوف، أي: صابِرٌ.

(٣) نَزِقٌ: كَثِيرُ الطَّيْشِ والخِفَّةِ.

(٤) الرِّيفُ: المواضِعُ المُخْصِبَةُ الَّتي على المياه، وقد تقدم.

(٥) رَعِشٌ هنا: مُتَقَلِّبٌ غيرُ ثابت.

(٦) الإِذْعَانُ: الذُّلُ مُضِيفاً. معناه: مُشْفِقٌ خائِفٌ. يُقَالُ: أَضَافَ من الأمْرِ: إِذَا أَشْفَقَ منه وخاف.

(٧) التِّلادُ: المالُ القَدِيمُ، والطَّرِيفُ: المالُ المُحْدَثُ.

(٨) وَأَلَبُوا علينا أي: جَمَعُوا علينا، والجِذْمُ: الأَصْلُ.

(٩) جَدَعْنَا أي: قَطَعْنا، وَأَكْثَرُ ما يُسْتَعْمَلُ في الأنوف، ويُقَالُ: في المَسَامِع صَلَمْنَا؛ فلمَّا جَمَعَهُما أَعْمَل فيهما فِعْلاً واحداً.

(١٠) لَيِّنٌ أي: لَيِّنٌ مُخَفَّفَةٌ؛ كما يُقَال: هَيْنٌ وَهَيِّنٌ وَمَيْتٌ وَمَيِّتٌ، وعَنِيفٌ: ليس فيه رِفْقٌ.

(١١) الشُّنوفُ: جمعُ شَنْفٍ وهو القُرْطُ الذي يكون في الأُذُن.

(١٢) الخُسوفُ: الذُّلُّ. وينظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٩٥، ٣٩٦).

كلمة لكنانة بن عبد ياليل يجيب فيها كعب بن مالك

فأجابه كنانة بن عبد يَالِيل بن عمرو بن عُمَيْر، فقال [من الطويل]:

مَنْ كَانَ يَبْغِينَا يُرِيدُ قِتَالَنَا ... فَإِنَّا بِدَارٍ مَعْلَمٍ لاَ نَرِيمُهَا[1]

وَجَدْنَا بِهَا الآبَاءَ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى ... وَكَانَتْ لَنَا أَطْوَاؤُهَا وَكُرُومُهَا[2]

وَقَدْ جَرَّبَتْنَا قَبْلُ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ ... فَأَخْبَرَهَا ذُو رَأْيِهَا وَحَلِيمُهَا

وَقَدْ عَلِمَتْ إِنْ قَالَتِ الْحَقَّ أَنَّنَا ... إِذَا مَا أَبَتْ صُعْرُ الْخُدُودِ[3] نُقِيمُهَا

نُقَوِّمُهَا حَتَّى يَلِينَ شَرِيسُهَا[4] ... وَيُعْرَفَ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ ظَلُومُهَا

عَلَيْنَا دِلاَصٌ مِنْ تُرَاثِ مُحَرِّقٍ ... كَلَوْنِ السَّمَاءِ زَيَّنَتْهَا نُجُومُهَا[5]

نُرَفِّهُهَا عَنَّا بِبِيضٍ صَوَارِمٍ ... إِذَا جُرِّدَتْ فِي غَمْرَةٍ لاَ نَشِيمُهَا[1011][6]

أبيات لشداد بن عارض الجشمي

قال ابن إسحاق: وَقَالَ شَدَّادُ بن عارض الجُشَمِيُّ في مسير رسولِ الله ﷺ إلى الطائف [من البسيط]:

لاَ تَنْصُرُوا اللاَّتَ إِنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهَا ... وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْتَصِرُ؟!

[١٠١١] ينظر «البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ٣٩٦) وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي، قد وفد على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف فأسلم معهم، قاله موسى بن عقبة وأبو إسحاق وأبو عمر بن عبد البر وابن الأثير وغير واحد، وزعم المدائني أنه لم يسلم بل صار إلى بلاد الروم فتنصَّر ومات بها.

قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٥/ ٤٩٦): ويقوي كلام المدائني ما حكاه ابن عبد البر في ترجمة حنظلة بن أبي عامر الراهب أن أبا عامر لما أقام بأرض الروم مرغماً للمسلمين وتنصَّر فمات عند هرقل فاختصم في ميراثه علقمة بن علاثة العامري وكنانة بن عبد ياليل الثقفي إلى هرقل فدفعه لكنانة لكونه من أهل المدر كأبي عامر.

---

(١) فَإِنَّا بِدَارِ مَعْلَم لا نَرِيمُها، أي: بِدَارٍ مَشْهورةٍ. ولا نَرِيمُها، أي: لا نَبْرَحُ منها وَلاَ نَزُول.

(٢) قال الشيخ أبوّ ذر الخشني: أَطْوَاؤُها: جَمْعُ طَوِيَ وهي: البِئْرُ، وَمَنْ رواه أَطْواؤُها بالدال فَيَعْني بها: الجِبالَ، واحِدُها: طَوْدٌ.

(٣) صُعْرُ الخدود: هي المائلة إلى جهة؛ تكبُّراً وعُجْباً.

(٤) شَرِيسُهَا أي: شَدِيدُها.

(٥) وَدِلاص أي: دُروعٌ لَيِّنَةٌ، وَمُحَرِّقٌ هنا: هو عَمْرو بنُ هِنْدٍ المَلِكُ، قِيلَ له ذلك؛ لتحريقِهِ بني تميم، ويُقَال: هو عمرو بنُ عامِرٍ، وهو أَوَّلُ مَنْ حَرَّق من العَرَب بالنَّار.

(٦) لا نَشِيمُها أي: لا نَغْمِدُها. يُقال: شِمْتُ السَّيْفَ: إِذَا أَغْمَدْتَهُ، وَشِمْتَهُ: إذا سَلَلْتَه، وهو من الأضْداد. وينظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٩٦).

إِنَّ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسُّدِّ فَاشْتَعَلَتْ وَلَمْ تُقَاتِلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدَرُ[1] [١٠١٢]
إِنَّ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزِلْ بِلادَكُمُ يَظْعَنْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرُ[2]

طريق رسول الله

قال ابن إسحاق: فَسَلَكَ رسولُ الله ﷺ على نَخْلَة اليمانية، ثم عَلَىٰ قَرْن، ثم عَلَىٰ الْمُلَيْح، ثم على بَحْرَةِ الرُّغَاء من لِيَّة، فابتنى بها مَسْجِداً فَصَلَّىٰ فيه [١٠١٣].

أول دم أقاد به رسول الله

قال ابن إسحاق: فحدثني عَمْرو بن شعيب أنه أقاد يومئذٍ بِبُحْرَةَ الرُّغاء حِينَ نَزَلَها بدم، وَهُوَ أَوَّلُ دم أقِيدَ به في الإسلام، رَجُلٌ من بني ليث قَتَلَ رجُلاً من هُذَيْل، فقتله به، وَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ وهو بِلِيَّةَ ـ بِحضنِ مالك بن عَوْف فَهُدِم [١٠١٤].

رسول الله يأمر بإخراب حائط لرجل من ثقيف

ثم سَلَكَ في طريقٍ يُقَالُ لها الضَّيقة، فلَمَّا توجَّه فيها رسولُ الله ﷺ، سَأَلَ عن اسمها، فقال: «مَا اسْمُ هٰذِهِ الطَّرِيق»؟ فَقِيلَ له: الضيقة. فقال: «بَلْ هِيَ اليُسْرَى» ثم خَرَجَ منها على نَخْب حتى نَزَلَ تحت سِدْرَة يُقَالُ لها الصَّادِرة، قَرِيباً مِنْ مَالِ رَجُلٍ من ثقيف، فأَرْسَلَ إليه رسولُ الله ﷺ: «إمَّا أنْ تَخْرُجْ، وإمَّا أَنْ نُخَرِّبَ عَلَيْكَ حَائِطَكَ» فأبى أَنْ يَخْرُجَ، فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بإخْرَابِهِ، ثم مَضَىٰ رَسُولُ الله ﷺ حتى نَزَلَ قَرِيباً مِنَ الطائِفِ فَضَرَبَ به عَسْكَرُهُ، فَقُتِلَ نَاسٌ من أصحابِهِ بالنَّبْل، وذلك أَنَّ العَسْكَرَ اقْتَرَب من حَائِطِ الطائفِ،

[١٠١٢] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٩٦ـ٣٩٧).
[١٠١٣] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٣) من طريق ابن إسحاق.
وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٩٧).
[١٠١٤] إسناده ضعيف لإرساله.
وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٣) من طريق ابن إسحاق به.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٩٧) عن ابن إسحاق به.
وأخرجه البيهقي من «دلائل النبوة» (٥/ ١٥٦ـ١٥٧) من طريق موسى بن عقبة عن الزهري به مرسلاً نحوهُ وأخرجه أيضاً عن عروة مرسلاً.

---

(١) الهَدَرُ: الباطِلُ الذي لا يُؤْخَذُ بثأْرِهِ.
(٢) يَظْعَنُ أي: يَرْحَل. وينظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٩٧) وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٨٢).

فَكَانَتْ النبلُ تَنَالُهُمْ، ولم يَقْدِرِ المسلمون على أن يَدْخُلُوا حَائِطِهُمْ، أَغْلَقُوهُ دُونَهُمْ، فَلَمَّا أُصيب أولئك النفرُ من أصحابِهِ بالنبلِ وَضَعَ عَسْكَرَهُ عند مَسْجِدِهِ الذي بالطائف اليوم، فَحَاصَرَهُمْ بِضْعاً وعشرين ليلة.

قال ابن هشام: ويقال: سَبْعَ عَشَرَةَ ليلة.

قال ابن إسحاق: وَمَعَهُ امرأتانِ مِنْ نِسَائِهِ إِحْدَاهما أُمُّ سَلَمَةَ بنت أبي أُمَيَّة فضرب لهما قُبَّتَيْن، ثم صَلَّىٰ بين القبَّتين، ثم أَقَامَ، فَلَمَّا أسلمتْ ثقيف بَنَى عَلَىٰ مُصَلَّى رسولِ الله ﷺ عَمْرُو بن أمية بن وَهْب بن مُعَتِّب بن مالك مسجداً، وكانت في ذلك المسجدِ سَارِيَةٌ ـ فيما يزعمون ـ لا تطلع الشمسُ عليها يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ إلاَّ سُمِعَ لها نَقِيضَ[1]، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ، وَقَاتَلُهُمْ قِتَالاً شديداً وَتَرَامَوْا بالنَّبْل [١٠١٥].

رسول الله أول من رمى بالمنجنيق في الإسلام

قَالَ ابن هشام: وَرَمَاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ بالمنجنيق، حَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَوَّلُ مَنْ رمى في الإسلامِ بِالْمَنْجَنِيق، رَمَىٰ أَهْلَ الطائف [١٠١٦].

[١٠١٥] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٣ـ٨٤). والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٥٨) من طريق محمد بن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٩٧).
وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٨٢ـ٣٨٣) ومغازي الواقدي (٣/ ٩٢٥).

[١٠١٦] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن هشام ثم هو معضل، فشيخ ابن هشام لم يدرك القصة، والحديث أخرجه أبو داوود في «المراسيل» (ص ـ ٢٤٨) رقم (٣٣٥) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٥٩) من طريق سفيان الثوري عن ثور بن يزيد عن مكحول أن النبي ﷺ نصب المجانيق على أهل الطائف، وأخرجه الترمذي (٥/ ٨٨) كتاب الأدب: باب ما جاء في الأخذ من اللحية، قال: سمعت قتيبة ثنا وكيع بن الجراح عن رجل عن ثور بن يزيد أن النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف.
قال قتيبة: قلت لوكيع: مَن هذا قال: صاحبكم عمر بن هارون البلخي.
وهذا الحديث مع إعضاله ففيه عمر بن هارون البلخي، كذبه يحيى وصالح حزرة.
وقد ورد هذا الحديث موصولاً من حديث علي بن أبي طالب، أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٤٤) من طريق عبدالله بن خراش عن العوام بن حوشب عن علي قال: نصب رسول الله ﷺ المنجنيق على أهل الطائف.
قال العقيلي: عبدالله بن خراش: أحاديثه كلها غير محفوظة ولا يتابعه عليها إلا مَن هو دونه أو =

---

(١) النَّقِيضُ: الصوتُ.

أهل ثقيف وشأنهم مع أبي سفيان والمغيرة

قال ابن إسحاق: حتى إذا كَانَ يَوْمُ الشدْخَة، عند جدار الطائفِ دَخَلَ نفرٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ تَحْتَ دَبَّابَةٍ، ثم زَحَفُوا بها إلىٰ جِدَارِ الطائفِ (٣٤٦/ب) ليَخْرِقُوهُ، فَأَرْسَلَتْ عليهم ثقيفٌ سكَكَ الحديدِ مُحْمَاةً بالنارِ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا، فَرَمَتْهُمْ ثقيف بالنَّبْلِ، فَقَتَلُوا منهم رجالاً، فَأَمَرَ رسولُ الله ﷺ بقَطعِ أعنابِ ثقيف، فَوَقَعَ النَّاسُ فيها يَقْطَعُونَ، وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرةُ بن شعبة إلى الطائفِ فَنَادَيَا ثقيفاً أَنْ أمنونا حتى نِكَلِّمَكُمْ، فَأَمَّنُوهُمَا، فَدَعَوَا نِسَاءً من نساء قريش وبني كنانة ليخرجنّ إليهما وهما يخافان عليهنَّ السِّبَاءَ، فأَبَيْنَ، مِنْهُنَّ آمنة بنت أبي سفيان، كانت عند عروة بن مسعود، له منها داود بن عروة [١٠١٧].

قال ابن هشام: وَيُقَالُ: إنَّ أُمَّ داود ميمونة بنت أبي سفيان، وكانت عند أبي مرة بن عروة بن مسعود فَوَلَدَتْ له داود بن أبي مرة.

قال ابن إسحاق: وَالْفِرَاسِيَّة بنت سُوَيْدِ بن عمرو بن ثعلبة، لها عبد الرحمن بن قارب، وَالْفُقَيْمِيَّةِ أُمَيْمَة بنت الناسىء أُمَيَّة بن قَلْع؛ فلما أَبَيْنَ عليهما قَالَ لهما ابن الأسود بن مسعود: يَا أَبَا سفيان وَيا مغيرة، ألا أَدُلُّكُمَا على خيرٍ مما جئتما له؟ إنَّ مَالَ بني الأسود بن مسعود حَيْثُ قد عَلِمْتُمَا، وكان رسولُ الله ﷺ، بينه وبين الطائفِ نازلاً بوادٍ يُقَال له العقيقُ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رِشَاء ولا أشدُّ مُؤْنة ولا أبعد عِمَارَةً من مال بني الأسود، وإن محمداً إنْ قَطَعَهُ لم يَعْمُر أبداً، فكَلِّماه فَلْيَأْخُذْهُ لِنَفْسِهِ ولِيَدَعْه لله والرحمِ، فَإن بيننا وبينه من القَرَابَةِ ما لاَ يجهل، فَزَعَمُوا أَنَّ رسولَ الله ﷺ تَرَكَهُ لهم.

= مثله، وأسند عن البخاري قال: عبدالله بن خراش عن العوام بن حوشب منكر الحديث.

وأخرجه البيهقي (٩/ ٨٤) من طريق هشام بن سعد عن يزيد بن أسلم عن أبيه عن أبي عبيدة بن الجراح أن رسول الله ﷺ حاصر أهل الطائف ونصب عليهم المنجنيق سبعة عشر يوماً.

قال أبو قلابة: وكان يُنكر عليه هذا الحديث أي على هشام بن سعد.

قال البيهقي: فكأنه كان ينكر عليه وصل إسناده ويحتمل أنه أنكر رميهم يومئذٍ بالمجانيق.

وقد ورد ما يعارض ذلك وإن كان مرسلاً.

فأخرج أبو داود في المراسيل (ص ـ ٢٤٨) رقم (٣٣٦) عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: حاصرهم رسول الله ﷺ شهراً [يعني أهل الطائف] قلت: أبلغك أنه رماهم بالمجانيق؟ فأنكر ذلك وقال: ما يعرف هذا.

[١٠١٧] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٤) عن ابن إسحاق.

وانظر رواية ابن إسحاق عن عمر بن شعيب، وقد تقدَّم تخريجها.

وَقَدْ بلغني أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لأبي بكر الصديق وهو مُحَاصِرٌ ثقيفاً: «يا أبا بَكْرٍ، إِنِّي رَأَيْتُ أني أُهْدِيَتْ لي قَعْبَةٌ[1] مملوءة زُبْداً فَنَقَرَهَا ديكٌ فَهَرَاقَ ما فيها» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ما أَظُنُّ أَنْ تدركَ منهم يَوْمَكَ هذا ما تُرِيدُ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «وأنا لا أرَى ذلك» [١٠١٨].

ثم إن خُوَيْلَةَ ابنة حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السُلمية وهي امرأةُ عُثْمَانَ بن مَظْعون، قالت: يَا رَسُولَ الله، أَعْطِنِي إِنْ فَتَحَ الله عَلَيْكَ الطائفَ حُليَّ باديةِ ابنة غَيْلاَن بن سَلَمَة، أو حُلِيَّ الْفَارِعَة بنت عَقِيل، وكانتا مِنْ أَحْلَىٰ نِسَاءِ ثقيف، فَذُكِر لي أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال لها: «وَإِنْ كَانَ لَمْ يُؤْذَن لِي فِي ثَقِيفٍ يَا خُوَيْلَة» فَخَرَجَتْ خويلةُ فذكرتْ ذلك لعمر بن الخطاب، فَدَخَلَ على رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما حَدِيثٌ حَدَّثْتِنِيه خُوَيْلَة، زَعَمَتْ أنك قُلْتَهُ؟ قال: «قَدْ قلتُهُ» قال: أو ما أذِنَ لك فيهم يا رسولَ الله؟ قال «لا» قال: أفلا أؤذِّن بالرحيلِ؟ قال: «بلى» قال: فأذَّن عمر بالرحيلِ، فَلَمَّا استقلَّ الناسُ نادىٰ سعيد بن عُبَيْد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج: أَلاَ إِنَّ الحيَّ مقيمٌ، قال: يَقُولُ عيينة بن حصن: أَجَلْ والله، مَجَدَةً كِرَاماً، فَقَالَ له رَجُلٌ من المسلمين: قَاتَلَكَ الله يا عيينة!! أَتَمْدَحُ المشركين بالامتناعِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وقد جِئْتَ تَنْصُرُ رَسُولَ الله ﷺ؟ فقال: إِنِّي والله مَا جِئْتُ لأُقَاتِلَ ثقيفاً معكم، ولكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَفْتَحَ مُحَمَّد الطائفَ فأصيب من ثقيف جاريةً أَتَّطِئُهَا لعلها تَلِدُ لي رَجُلاً، فَإِن ثقيفاً قومٌ مناكير.

وَنَزَلَ عَلَىٰ رسول الله ﷺ، في إقامتِهِ، ممن كان محاصراً بالطائف عَبِيدٌ، فَأَسْلَمُوا، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ [١٠١٩].

قال ابن إسحاق: وحدثني مَنْ لا أَتَّهِمُ، عن عبد الله (٢٤٧/ أ) بن مُكَدَّم، عن رجالٍ من ثقيف، قالوا: لَمَّا أسلم أَهْلُ الطائفِ تَكَلَّم نَفَرٌ منهم في أولئك الْعبيدِ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «لاَ، أُولَئِكَ عُتَقَاءُ الله» وكان ممن تَكَلَّمَ فيهم الحرثُ بن كَلَدَةَ [١٠٢٠].

[١٠١٨] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٦٩) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٤ـ٨٥) كلاهما من طريق محمد بن إسحاق به.
وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٠١) والصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٨٧).

[١٠١٩] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٦٩ـ١٧٠) من طريق ابن إسحاق.
وينظر «الإصابة» (٨/ ١١٦ـ١١٧).

[١٠٢٠] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق ورجال ثقيف، وكذلك عبد الله بن مكدم. =

---

(١) القَعْبَةُ: القَدَحُ، وَأُنِّثَ هُنَا على معنى الصَّحْفَةِ وما أَشْبَهَهَا.

قال ابن هشام: وقد سمى ابن إسحاق مَنْ نَزَلَ من أولئك العبيدِ.

قال ابن إسحاق: وقد كانت ثقيفٌ أَصَابَتْ أهلاً لمروان بن قيس الدَّوْسِيِّ، وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ وظَاهَرَ رسولَ الله ﷺ على ثقيف، فزعمت ثقيفٌ ـ وهو الذي تَزْعُمُ به ثقيفٌ أنها من قيس ـ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال لمروان بن قيس: «خُذْ يَا مَرْوَانُ بِأَهْلِكَ أَوَّلَ رَجُلٍ تَلْقَاهُ مِنْ قَيْسٍ» [١٠٢١] فلقي أُبيَّ بن مالك الْقُشَيْرِيَّ فَأَخَذَهُ حتى يؤدوا إليه أَهْلَهُ، فقام في ذلك الضَّحَّاك بن سُفْيان الكِلاَبِيُّ. فكلَّم ثقيفاً حتى أرسلوا أَهْلَ مروان وأطلق لهم أبيَّ بن مالك، فقال الضحاك بن سفيان في شيءٍ كان بينه وبين أبيِّ بن مالك [من الطويل]:

أَتَنْسَى بَلاَئِي يَا أُبَيَّ بْنَ مَالِكٍ ... غَدَاةَ الرَّسُولُ مُعْرِضٌ عَنْكَ أَشْوَسُ[(١)]

يَقُودُكَ مَرْوَانُ بْنُ قَيْسٍ بِحَبْلِهِ ... ذَلِيلاً كَمَا قِيدَ الذَّلُولُ الْمُخَيَّسُ[(٢)]

فَعَادَتْ عَلَيْكَ مِنْ ثَقِيفٍ عِصَابَةٌ ... مَتَى يَأْتِهِمْ مُسْتَقْبِسُ الشَّرِّ يُقْبِسُوا[(٣)]

فَكَانُوا هُمُ الْمَوْلَى فَعَادَتْ حُلُومُهُمْ ... عَلَيْكَ وَقَدْ كَادَتْ بِكَ النَّفْسُ تَيْأَسُ[١٠٢٢][(٤)]

قال ابن هشام «يُقْبِسُوا» عن غير ابن إسحاق

تسمية شهداء يوم الطائف

قال ابن إسحاق: وهذه تسميةُ مَنِ اسْتُشْهِدَ من المسلمين مع رسولِ الله ﷺ يَوْمَ الطائفِ.

من قريش، ثم من بني أُمَيَّة بن عبد شمس: سَعِيدُ بن سعيد بن العاص بن أمية، وعُرْفُطَة بن جَنَّاب حليف لهم من الأسْد بن الغوث.

قال ابن هشام: ويقال ابن حُبَاب.

= وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٥٨ـ١٥٩) من طريق ابن إسحاق عن أبي إسحاق بن عبد الله بن المكدم الثقفي.

[١٠٢١] ينظر «الإصابة» (٦/٦٦ـ٦٧).

[١٠٢٢] ينظر «الإصابة» (٦/٦٦ـ٦٧).

---

(١) البَلاَءُ هنا: النِّعْمَةُ. والأَشْوَسُ الذي يُعْرض بِنَظَرِهِ إلى جِهَة أُخرى.

(٢) الذَّلولُ: المُرتاضُ. والمخَيَّسُ: المذَلَّلُ.

(٣) مُسْتَقبِسُ الشَّرِّ: طالِبُه.

(٤) الحُلُومُ: العُقولُ. البيت الأول في جمهرة اللغة بلا نسبة، ينظر: جمهرة اللغة ص (٨٣٣).

قال ابن إسحاق: ومن بني تَيْم بن مُرَّة: عبد الله بن أبي بكر الصديق رُمِيَ بسهم فَمَاتَ منه بالمدينةِ بعد وَفَاةِ رسولِ الله ﷺ

ومن بني مَخْزُوم: عبدُ الله بن أبي أمية بن المغيرةِ، من رَمْيَةٍ رُمِيَهَا يومئذ.

ومن بني عَدِيِّ بن كعب: عبدُ الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم.

ومن بني سَهْم بن عَمْرو: السائبُ بْنُ الحرثِ بن قيسِ بن عديٍّ، وأخوه عبد الله بن الحرث.

ومن بني سعد بن لَيْث: جُلَيْحَةُ[1] بن عبد الله.

واستشهد من الأنصار: من بني سلمة: ثَابِتُ بن الجِذْعِ، ومن بني مازن بن النجار: الحرثُ بن سَهْلِ بن أبي صَعْصَعَة، ومن بني ساعدة: المنذرُ بن عبد الله، وَمِنَ الأَوْسِ: رُقَيْمُ بْنُ ثَابِت بن ثَعْلَبَةَ بن زيد بن لَوْذَان بن معاوية.

فجميعُ مَنِ اسْتُشْهِدَ بالطائفِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ اثنا عشر رَجُلاً: سبعةٌ من قريش، وأربعةٌ من الأنصار، وَرَجُلٌ من بني ليث [١٠٢٣].

كلمة لبجير بن زهير في حنين والطائف

فلمَّا انْصَرَفَ رسولُ الله ﷺ عَنِ الطائفِ بعد القتالِ والحصارِ قال بُجَيْر بن زُهَيْر بن أبي سُلْمىٰ يذكر حُنَيْناً والطائف [من الكامل]:

كَانَتْ عُلالَةُ يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنِ ... وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ وَيَوْمَ الأَبْرَقِ[2]

جَمَعَتْ بِإِغْوَاءٍ هَوَازِنُ جَمْعَهَا ... فَتَبَدَّدُوا كَالطَّائِرِ الْمُتَمَزِّقِ[3]

لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَاماً وَاحِداً ... إِلاَّ جِدَارَهُمُ وَبَطْنَ الْخَنْدَقِ

وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لِكَيْمَا يَخْرُجُوا ... فَتَحَصَّنُوا مِنَّا بِبَابٍ مُغْلَقِ

[١٠٢٣] ينظر «تاريخ الطبري» (٣/ ٨٥) و«البداية والنهاية» (٤/ ٤٠٢).

---

(١) قال الشيخ أبو ذر الخشني: حُلَيْحَةُ بْنُ عبد الله: يُروى بالحاء المهملة فيهما جميعاً: ويُرْوى أيضاً جُلَيْحَةُ بالجيم في الأوَّل والحاء المهملة في الثاني، وهكذا ذكره أبُو عمرو، وهو ما وقع في هذه الرواية.

(٢) قال الخشني: العُلالَةُ: مِنَ العَلَلِ وهو الشُرْبُ بعد الشُرْب، وأراد به ههنا معْنَى التكْرار. وَحُنَيْن: تَصْغيرُ حُنَيْنٍ. وأوْطاس: موضعٌ؛ وأصله الجبَلُ الذي فيه ألوانٌ من الحِجارة والرَّمْل.

(٣) بإغْوَاءٍ: هو من الغَيِّ الذي هو خِلافُ الرُشْد.

تَـرْتَـدُّ حَـسْـرَانَـا إِلَـى رَجْـرَاجَـةٍ ... شَـهْـبَـاءَ تَـلْـمَعُ بِـالْـمَـنَـايَـا فَـيْـلَـقِ[1]
مَـلْـمُـومَـةٍ خَـضْـرَاءَ لَـوْ قَـذَفُـوا بِـهَـا ... جِـضْـنـاً لَـظَـلَّ كَـأَنَّـهُ لَـمْ يُـخْـلَـقِ[2]
مَـشْـيَ الـضَّـرَاءِ عَـلَـى الْـهِـرَاسِ كَـأَنَّـنَـا ... قُـدُرٌ تَـفَـرَّقُ فِـي الْـقِـيَـادِ وَتَـلْـتَـقِـي[3]
فِـي كُـلِّ سَـابِـغَـةٍ إِذَا مَـا اسْـتَـحْـصَـنَـتْ ... كَـالـنَّـهْـيِ هَـبَّـتْ رِيـحُـهُ الْـمُـتَـرَقْـرِقِ[4]
جُـدُلٌ تَـمَـسُّ فُـضُـولُـهُـنَّ نِـعَـالَـنَـا ... مِـنْ نَـسْـجِ دَاوُدٍ وَآلِ مُـحَـرِّقِ [١٠٢٤][5]

أَمْرُ أَمْوَالِ هَوَازِنَ وَسَبَايَاهَا (٢٤٧/ب وَعَطَايَا المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْهَا، وَإِنْعَامُ رَسُولِ الله ﷺ فِيهَا

ثم خَرَجَ رسولُ الله ﷺ حِينَ انْصَرَفَ عنِ الطائفِ على دُحْنَا حتى نَزَلَ الجِعْرَانَة فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ، وَمَعَهُ من هوازن سَبْيٌ كثيرٌ، وقد قَالَ له رَجُلٌ من أصحابِهِ يَوْمَ ظعن عن ثقيف: يا رَسُولَ الله، ادْعُ عليهم، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ، اهْدِ ثَقِيفاً وَائْتِ بِهِمْ» [١٠٢٥].

ثم أتاه وَفْدُ هوازن بِالْجِعْرَانَة، وَكَانَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، من سَبْيِ هوازن ستةُ آلافٍ من الذَّرَارِي والنساءِ، وَمِنَ الإبلِ والشاءِ ما لا يُدْرَىٰ ما عِدَّتُهُ [١٠٢٦].

[١٠٢٤] ينظر «البداية والنهاية» (٤/ ٤٠٣). وأسد الغابة (١/ ٣٥٢) و«الاستيعاب» (١/ ١٤٩). وقال ابن الأثير: أخرجه الثلاثة. وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٤٠٧).

[١٠٢٥] أخرجه الترمذي (٥/ ٧٢٩) كتاب المناقب: باب مناقب في ثقيف وبني حنيفة ـ حديث (٣٩٤٢) وأحمد (٣/ ٣٤٣) وابن عدي (١/ ٣١٨) وابن أبي شيبة (٧٠/ ٥٦٠) من حديث جابر.
وأخرجه البيهقي (٥/ ١٦٩) عن عروة بن الزبير مرسلاً.
وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٠٤).

[١٠٢٦] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٧١) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٦) من طريق ابن إسحاق. =

---

(١) حَسْرَانَا: يعني الَّذين أَعْيَوْا مِنًا من الحَسِير وهو المُعْيِيُ، وقد يَجُوزُ أن تكون الحَسْرَى هنا: الَّذِين لا دُروعَ عليهم. الرجْراجَةُ: الكتيبةُ التي يَمُوجُ بعضُها في بَعْضٍ. الفَيْلَقُ: الجيشُ الكثيرُ الشَّدِيدُ.

(٢) مَلْمومةٌ: مُجْتَمِعة، وخَضْراءُ: يعني من لَوْن السِّلاح.

(٣) والضَّرَاءُ هنا: الأُسُودُ الضاريةُ، والهِرَاسُ: نَبَاتٌ لَهُ شَوْكٌ. كأنّنا قُدُرٌ: من رواه بالقاف فيعني: خَيْلاً تَجْعَلُ أَرْجُلَها فِي مَواضع أيديها إذا مَشَتْ. ومَن رواه: فُدُرٌ بالفاء فيريد به الوعُولَ، واحدُها فَادِرٌ، هكذا قال الشيخ أبو ذر الخشني.

(٤) السَّابِغَةُ: الدِّرْعُ الكَامِلةُ. والنَّهْيُ: الغَديرُ من الماء، والمُتَرَقْرِقُ: المُتَحَرِّكُ.

(٥) جُدُلٌ: هو جمعُ جَدْلاَء، وهي الدِّرْع الجَيِّدةُ النَّسْج. وَفُضُولُهُنَّ: ما انجرَّ مِنْهُن. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٤٠٣).

قال ابن إسحاق: فحدَّثني عمرو بن شُعَيْب، عَنْ أبيه، عن جَدِّهِ عبد الله بن عمرو، أن وَفْدَ هوازن أتَوْا رَسُولَ الله ﷺ، وقد أَسْلَمُوا، فقالوا: يا رَسُولَ الله، إنَّا أصْلٌ وعشيرةٌ، وقد أَصَابَنَا من البلاءِ ما لم يَخْفَ عليك، فَامْنُنْ علينا مَنَّ الله عَلَيْكَ، قال: وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ هوازن، ثم أحد بني سعد بن بكر يقال له زهير، يُكَنَّىٰ أبا صُرَد، فقال: يا رسولَ الله، إنَّما في الْحَظَائِرِ[1] عَمَّاتُكَ وَخَالاتُكَ وَحَوَاضِنُكَ[2] اللاتي كنَّ يَكْفُلْنَكَ، ولو أنا مَلَحْنَا[3] للحرث بن أبي شمر[4] أو للنُّعْمَان بن المنذر[5]، ثم نَزَلَ مِنَّا بمثلِ الذي نَزَلْتَ به، رَجَوْنَا عَطْفَهُ وعائدته[6] علينا، وأنت خَيْرُ المكفولين.

قال ابن هشام: ويروى: ولو أنا مَالَحْنَا الحرثَ بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر.

رسول الله ﷺ يرد على هوازن السبايا

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جَدِّهِ عبد الله بن عمرو، قال: فَقَالَ رسولُ الله ﷺ «أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ»؟ فَقَالُوا: يا رَسُولَ الله، خَيَّرْتَنَا بين أَمْوَالِنَا وَأَحْسَابِنَا، بل تَرُدُّ إلينا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَهُوَ أَحَبُّ إلينا، فَقَالَ لهم: «أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِذَا مَا أَنَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ فَقُومُوا فَقُولُوا إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ الله ﷺ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا فَسَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ لَكُمْ».

المهاجرون والأنصار يردون السبايا

فلمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ الله ﷺ بالنَّاسِ الظُّهْرَ قَامُوا فَتَكَلَّمُوا بالذي أَمَرَهُمْ به رسولُ الله ﷺ، فَقَالَ رسولُ الله: «أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ» فقال المهاجرون: وَمَا كَانَ لنا فهو لرسولِ الله ﷺ، وقالتِ الأنصارُ: وَمَا كَانَ لنا فهو لِرَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ الأَقْرَعَ بن حَابِسٍ: أما أنا وبنو تميم، فَلاَ، وقال عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ: أما أنا وبنو فزارة، فَلاَ، وقال

= وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٠٤) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) الحَظائِرُ: جمعُ حَظِيرةٍ وهي الزَّرْبُ الذي يُصنع للإبل والغَنَم ليَكُفَّها. وكَان السَّبْيُ في حظائر مِثْلَها.
(٢) حَواضِنُكَ يَعْني: التي أرْضَعَتِ النَّبِيّ عَلَيه السَّلام وحَضَنَتْهُ من بني سَعْد من هَوازنَ وكانت ظِئْراً له.
(٣) ولو أنَّا مَلَحْنَا للحارث، أي: أرْضَعْنَا. والمِلْحُ بالرِّضَاعُ.
(٤) الحارثُ بن أبي شَمِر: ملِكُ الشَّام من العرب.
(٥) النُّعْمانُ بن المنذر: ملكُ العراق من العرب.
(٦) عَائدَتُهُ: فَضْلُهُ.

عَبَّاسُ بن مِرْدَاسٍ: أنا أنا وبنو سليم، فلا، فقالتْ بنو سليم: بَلَى، ما كان لنا فهو لرسولِ الله ﷺ قَالَ: يَقُولُ عَبَّاس بن مِرْدَاس لبني سُلَيم: وهَنْتُمُوني[1] فَقَالَ رَسولُ الله ﷺ: «أَمَّا مَنْ تَمَسَّكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ مِنْ هٰذَا السَّبْيِ، فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضَ مِنْ أَوَّلِ سَبْيٍ أُصِيبُهُ» فَرَدُّوا إِلَى النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ [١٠٢٧].

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني أبو وَجْزَةَ يزيدُ بن عبيد السعدي، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَعْطَى عَلِيَّ بن أبي طالب رضي الله عنه جارية يُقَالُ لها: رَيْطَة بنت هِلاَل بن حَيَّان بن عُمَيْرة بن هِلاَل بن ناصرة[2] بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر، وأعطى عُثْمَانَ بن عَفَّانَ جارية يُقَالُ لها: زينب بنت حَيَّان بن عمرو بن حَيَّان، وأعطى عُمَرَ بن الخطاب جارية فَوَهَبَهَا لعبدِ الله بن عُمَر ابنه [١٠٢٨].

قال ابن إسحاق: فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عَنْ عبد الله بن عمر، قال: بَعَثْتُ بِهَا إِلَىٰ أَخْوَالِي من بني جُمَحٍ لِيُصْلِحُوا لي مِنْهَا ويُهَيِّئُوهَا حتى (١٠٢٩/ أ) أطُوفَ بالبيتِ. ثم آتيهم، وأنا أُرِيدُ أَنْ أُصِيبَهَا إذا رَجَعْتُ إليها، قال: فخرجت من المسجدِ ـ حين فرغت ـ فَإِذا الناسُ يَشْتَدُّون، فقلتُ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قالوا: ردَّ علينا رسولُ الله ﷺ نِسَاءَنا وَأَبْنَاءَنَا، فقلتُ: تِلْكُمْ صَاحِبَتُكُمْ في بني جُمَح فَاذْهَبُوا فَخُذُوهَا، فَذَهَبُوا إليها فَأَخَذُوهَا [١٠٢٩].

[١٠٢٧] إسناده حسن

أخرجه أبو داود (٣/ ٦٣) كتاب الجهاد: باب في فداء الأسير بالمال ـ حديث (٢٦٩٤) والنسائي (٦/ ٢٦٣ـ٢٦٤) كتاب الهبة: باب هبة المشاع ـ حديث (٣٦٩٠) وأحمد (٢/ ١٨٤، ٢١٨) والطبراني في «الكبير» (٥/ ٢٧٠ـ٢٧٢) رقم (٥٣٠٤) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٩٥) كلهم من طريق محمد بن إسحاق به.

[١٠٢٨] إسناده ضعيف؛ لإعضاله

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٩٦) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٧) من طريق ابن إسحاق به.

[١٠٢٩] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٨) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٩٦ـ١٩٧) من طريق ابن إسحاق به.

وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٠٦) من طريق ابن إسحاق به.

---

(١) وهَنْتُمُوني، معناه: ضَعَّفْتُمُوني.

(٢) قال الشيخ أبو ذر الخشني في نَسَب رَيْطَةَ: ابن ناصِرَةَ بن قُصَيَّة بن نَصْر: كذا وقع هنا بفتح القاف وَضَمِّها. وَقُصَيَّةُ بالفاء المضمومةَ ذَكَرَهُ ابنُ دُرَيْدٍ، وقال: هو تصغيرُ قَصَاةٍ، وهو شَبيهُ الخَيْطِ الذي يكون في نَوى التَّمْر.

قال ابن إسحاق: وَأَمَّا عُيَيْنَة بن حِصْنٍ فَأَخَذَ عجوزاً من عجائز هوازن وقال حين أَخَذَهَا: أرىٰ عجوزاً، إنّي لأَحْسَبُ لها في الحيِّ نَسَباً، وَعَسَىٰ أن يَعْظُم فِدَاؤها، فَلَمَّا رَدَّ رَسُولُ الله ﷺ، السَّبَايَا بِستِّ فرائض أَبَىٰ أَنْ يَرُدُّهَا، فَقَالَ له زهيرُ أبو صُرَد: خُذْهَا عنك، فوالله ما فُوهَا بباردٍ، ولا ثَدْيُهَا بِنَاهِدٍ، وَلا بَطْنُهَا بوالدٍ، ولا زَوْجُهَا بِوَاجِدٍ[1]، ولا دَرُّها بماكد[2] فَرَدَّهَا بست فرائض حِينَ قال له زهير ما قال، فَزَعَمُوا أَنَّ عيينة لقي الأقرع بن حابس فَشَكَا إليه ذلك، فقال: إِنَّك والله مَا أَخَذْتَهَا بيضاء غَرِيرَةً[3] ولا نَصَفاً[4] وَبِيرَةً[5] [١٠٣٠].

إسلام مالك بن عوف النصري ومقالته في ذلك

وقال رَسُولُ الله ﷺ لوفد هوازنَ وَسَأَلَهُمْ عن مالك بن عوف، مَا فَعَلَ؟ فقالوا: هو بالطائفِ مع ثقيف، فَقَالَ رَسُولُ الله: «أَخْبِرُوا مَالِكاً أَنَّهُ إِنْ أَتَانِي مُسْلِماً رَدَدْتُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَأَعْطَيْتُهُ مائةً مِنَ الإِبِلِ» فأتى مالك بذلك، فَخَرَجَ إليه مِنَ الطائفِ، وَقَدْ كَانَ مالك خاف ثقيفاً على نَفْسِهِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال له ما قال فَيَحْبِسُوهُ، فَأَمَرَ براحلته فَهُيِّئَتْ له، وَأَمَرَ بفرسٍ له فأُتي به إلى الطائف، فَخَرَجَ لَيْلاً، فَجَلَسَ عَلَىٰ فَرَسِهِ فَرَكَضَه حتى أتى راحلته حَيْثُ أمر بها أن تُحْبَسَ، فركبها، فَلَحِقَ برسولِ الله ﷺ، فَأَدْرَكَهُ بِـ«الْجِعْرَانَة»، أو بـ«مكَّةَ»، فردَّ عليه أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وأعطاه مائةً مِنَ الإبلِ، وَأَسْلَمَ فحسن إسلامُهُ، فَقَالَ مالك بن عَوْف حين أسلم [من الكامل]:

مـا إِنْ رَأَيْـتُ وَلاَ سَـمِـعْـتُ بِـمِـثْـلِـهِ ... فِـي الـنَّـاسِ كُـلِّـهِـم بِـمِـثْـلِ مُـحَـمَّـدِ

أَوْفَـىٰ وَأَعْـطَـىٰ لِـلْـجَـزِيـلِ إِذَا اجْـتُـدِي ... وَمَـتَـى تَـشَـأْ يُـخْـبِـرْكَ عَـمَّـا فِـي غَـدِ[6]

[١٠٣٠] ينظر «تاريخ الطبري» (٣/ ٨٨) و«البداية والنهاية» (٤/ ٤٠٧).
وله شاهد مرسل عن عروة.
أخرجه البيهقي (٥/ ١٩٣).

---

(١) ولا زَوْجُها بوَاجِدٍ: هو من الوَجْد وهو: الحُزْنُ أي: لا يَحْزَنُ زَوْجُها عليها؛ لأنها عجوزٌ كبيرةٌ.
(٢) ولا دَرُّها بماكِدٍ: أصلُ الدَّرّ: اللبن، والمَاكِدُ: الغزير هنا.
(٣) الغَرِيرَة: الصَّغِيرَةُ الغافِلةُ.
(٤) النَّصَفُ: المُتَوَسِّطةُ من النِّسَاءِ في السنِّ.
(٥) والوَبِيرةُ: الرَّطْبةُ السَّمينة، من قولك: فِراشٌ وبِيرٌ إذا كان رَطْباً.
(٦) الجَزِيلُ: العَطاءُ الكثيرُ. واجْتُدِيَ، أي: طُلِبَ منه الجَدَا، وهو العَطِيَّةُ.

وَإِذَا الْكَتِيبَةُ عَرَّدَتْ أَنْيَابُهَا ... بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ[1]

فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ ... وَسْطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرْصَدِ[2]

فاستعمله رَسُولُ الله ﷺ عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، وتلك القبائل ثُمَالة وَسَلَمة وَفَهْم، فَكَانَ يُقَاتِلُ بهم ثقيفاً، لا يَخْرُجُ لهم سَرْحٌ إلاَّ أَغَارَ عليه، حتى ضَيَّقَ عليهم، فقال أبو مِحْجَن بن حبيب بن عمرو بن عُمَيْر الثَّقَفِيّ [من المديد]:

هَابَتِ الأَعْدَاءُ جَانِبَنَا ... ثُمَّ تَغْزُونَا بَنُو سَلَمَهْ

وَأَتَانَا مَالِكٌ بِهِمُ ... نَاقِضاً لِلْعَهْدِ وَالْحُرُمَهْ

وَأَتَوْنَا فِي مَنَازِلِنَا ... وَلَقَدْ كُنَّا أُولِي نِقِمَهْ[3] [١٠٣١]

قسم في هوازن

قال ابن إسحاق: ولَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ رَدِّ سَبَايا حُنَيْنٍ إلىٰ أَهْلِهَا رَكِبَ، واتبعه الناسُ يقولُون: يا رسولَ الله، أقسم علينا فَيْأَنَا من الإبلِ والغَنَمِ، حتى أَلْجَئُوه إلى شَجَرَةٍ فاختطفتْ عنه رداءه، فقال: «رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي أَيُّهَا النَّاسُ، فَوَالله أَنْ لَوْ كَانَ لَكُمْ بِعَدَدِ شَجَرِ تِهَامَةَ نَعَماً لَقَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ مَا أَلْفَيْتُمُونِي بَخِيلاً وَلاَ جَبَاناً وَلاَ كَذُوباً» ثم قام إلىٰ جَنْبِ بَعِيرٍ فَأَخَذَ وَبَرَةً من سنامِهِ[4] بين أصبعيه ثم رَفَعَهَا، ثم قال: «أَيُّهَا النَّاس، والله مَالِي مِنْ فَيْئِكُمْ وَلاَ هٰذِهِ الْوَبَرَةُ إلاَّ الْخُمُسُ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ؛ فَأَدُّوا الْخِيَاطَ[5] المِخْيَطَ فَإِنَّ الْغُلُولَ يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَاراً وَنَاراً وَشَنَاراً[6] يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قال: فَجَاءَ رَجُلٌ من الأنصار بِكُبَّةٍ من خيوط شعرٍ، فقال: يا رَسُولَ الله، أَخَذْتُ (٢٤٨/ب) هذه الكُبَّة أَعْمَلُ بها بَرْذَعَةَ

[١٠٣١] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٨ـ٨٩) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٠٢) رقم (٦٧٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٩٨ـ١٩٩) كلهم من طريق ابن إسحاق.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٨٩) وقال: رجاله ثقات.

---

(١) عرَّدتْ، أي: اعْوَجَّتْ. والسَّمْهَرِيُّ: الرِّماحُ.

(٢) الهباءة: الغبرة، والهباءةُ أيضاً: اسمُ مَوْضِع. والخادِرُ: الداخِل في خِدْرِهِ، والخُدْرُ هنا: غَابَةُ الأَسَدِ، والمَرْصَدُ: المَوْضِعُ الَّذِي يُرْصَدُ منه ويُرْقَبُ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٤١٤).

(٣) ذكر السهيلي البيت الأول في الروض، ينظر الروض، الأنف (٤/ ١٦٧).

(٤) السَّنَامُ: أَعْلَى ظَهْرِ البَعير.

(٥) فَأَدُّوا الخِيَاطَ والمِخْيَطَ، الخِياطُ هنا: الخَيْطُ، والمِخْيَطُ: الإبْرَةُ.

(٦) الشَّنَارُ: أَقْبَحُ العارِ.

بعيرٍ لي دَبِرٍ، فقال: «أمَّا نَصِيبِي مِنْهَا فَلَكَ» قال أمَّا إذ بَلَغَتْ هذا فَلاَ حَاجَةَ لي بها، ثم طَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ [١٠٣٢].

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم، عن أبيه، أَنَّ عقيلَ بن أبي طالبٍ دَخَلَ يَوْمَ حُنَيْن عَلَىٰ امرأتِهِ فَاطِمَةَ ابنة شيبة بن ربيعة وسيفه مُتَلَطِّخ دماً، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ عرفتُ أنك قد قَاتَلْتَ، فماذا أصبتَ من غنائم المشركين؟ فقال: دُونك هذه الإبرة تخيطينَّ بها ثِيَابَكِ،

[١٠٣٢] قلت: ورد من حديث عبادة بن الصامت والعرباض بن سارية وعبد الله بن عمرو بن العاص.

ـ **حديث عبادة:**

أخرجه أحمد (٥/ ٣١٨) والنسائي (٧/ ١٣١) كتاب قسم الفيء وابن حبان (١٦٩٣ـ موارد) من طريق سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي سلام عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «أدوا الخيط والمخيط وإياكم والغلول فإنه عار على أهله يوم القيامة» هكذا رواه من هذا الوجه مختصراً.

وأخرجه أحمد (٥/ ٣١٦) من طريق إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن عبد الله عن أبي سلام عن المقدام بن معد يكرب الكندي أنه جلس مع عبادة بن الصامت وأبي الدرداء والحارث بن معاوية الكندي فتذاكروا حديث رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء لعبادة: يا عبادة كلمات رسول الله ﷺ من غزوة كذا في شأن الأخماس، فقال عبادة: إن رسول الله ﷺ صلَّى بهم إلى بعير من المغنم فلما سلم، قال: فتناول وبرة بين أنملتيه فقال: «إن هذه من غنائمكم، وإنه ليس لي فيها إلا نصيبي معكم إلا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخيط والمخيط وأكبر من ذلك وأصغر ولا تغلوا فإن الغلول نار وعار على أصحابه في الدنيا والآخرة». الحديث، وأبو بكر بن عبد الله هو ابن أبي مريم.

ـ **وحديث العرباض بن سارية:**

أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧ـ١٢٨) والبزار في كشف الأستار (٢/ ٢٩١): كتاب الجهاد. باب ما جاء في الغلول. حديث (١٧٣٤) والطبراني في الكبير (١٨) رقم (٦٤٩) ثنا أبو عاصم ثنا وهب أبو خالد قال حدثتني أم حبيبة بنت العرباض عن أبيها «أن رسول الله ﷺ كان يأخذ الوبرة من فيء الله عزَّ وجل فيقول: مالي من هذا إلا مثل ما لأحدكم إلا الخمس، وهو مردود فيكم، فأدوا الخيط والمخيط فما فوقها، وإياكم والغلول فإنه عار وشنار على صاحبه يوم القيامة».

وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار والطبراني وفيه أم حبيبة بنت العرباض، ولم أجد من وثقها ولاجرجها، وبقية رجاله ثقات.

ـ **حديث عبدالله بن عمر:**

أخرجه الطبراني في الأوسط كما في المجمع (٥/ ٣٤٢) عنه «أن رسول الله ﷺ قال وهو بالجعرانة أثناء حديثٍ: ردوا الخياط والمخيط، فإن الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة».

وأخرجه أبو داود (٢/ ٦٩ـ٧٠) كتاب الجهاد: باب في فداء الأسير بالمال ـ حديث (٢٦٩٤) والنسائي (٦/ ٢٦٢ـ٢٦٣) وأحمد (٢/ ١٨٤) والبيهقي (٦/ ٣٣٦ـ٣٣٧) وفي «دلائل النبوة» (٥/ ١٩٤ـ١٩٥) مطولاً من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه مرفوعاً وفيه: «فأدوا الخيط والمخيط فإن الغلول يكون على صاحبه عاراً ونارا وشناراً يوم القيامة».

وأخرجه مالك (٢/ ٤٥٧ـ٤٥٨) كتاب الجهاد: باب ما جاء في الغلول ـ حديث (٢٢) من طريق عبد الرحمن بن سعيد عن عمرو بن شعيب مرسلاً.

فَدَفَعَهَا إليها، فَسَمِعَ منادي رسولِ الله ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَخَذَ شَيْئاً فَلْيَرُدَّهُ حتى الْخِيَاطَ وَالْمِخْيَطَ، فَرَجَعَ عقيلٌ فقال: ما أرى إِبْرَتَكِ إلاَّ قَدْ ذَهَبَتْ، فَأَخَذَهَا فألقاها في الغنائم [١٠٣٣].

المؤلفة قلوبهم وأعطياتهم

قال ابن إسحاق: وأعطىٰ رسولُ الله ﷺ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ، وكانوا أشرافاً من أشرافِ الناسِ، يتألَّفُهُمْ ويتألَّفُ بهم قَوْمَهُمْ؛ فَأَعْطَىٰ أبا سفيان بن حرب مائة بَعيرٍ، وأَعطَىٰ ابنه معاويةَ مائةَ بعيرٍ، وَأَعْطَى حكيم بن حزام مائةَ بعيرٍ، وأَعْطَىٰ الحرث بن الحرث بن كَلَدَة أخا بني عبد الدار مائةَ بعيرٍ [١٠٣٤].

قال ابن هشام: نُصَيْر بن الحرث بن كَلَدَة، ويجوز أَنْ يَكُونَ اسمُهُ الحرث أيضاً.

قال ابن إسحاق: وأَعْطَىٰ الحرث بن هشام مائةَ بَعيرٍ، وأعطى سهيل بن عمرو مائةَ بعيرٍ، وأَعْطَىٰ حُوَيْطِبَ بن عبد العزى بن أبي قيس مائةَ بَعَيرٍ، وَأَعْطَىٰ الْعَلاَء بْنَ جارية الثقفي حليف بني زهرة مائةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَىٰ عُيَيْنَةَ بن حِصْن بن حُذَيْفَة بن بدر مائةَ بعيرٍ، وَأَعْطَىٰ الأقرع بن حابِس التميمي مائةَ بعيرٍ، وأَعْطَىٰ مالكَ بن عَوْفٍ النَّضرِي مائةَ بَعِيرٍ، وأَعْطَىٰ صَفْوَانَ بْنَ أمية مائةَ بعيرٍ، فهؤلاء أصحابُ المئينِ، وأعطى دُونَ المائةِ رجالاً من قريش: منهم مَخْرَمَةُ بن نوفل الزُّهْري، وعمير بن وَهْب الجُمَحِي، وهشامُ بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي، لا أحفظُ ما أعطاهم، وقد عرفتُ أنها دون المائةِ، وَأَعْطَىٰ سعيدَ بْنَ يَرْبُوع بن عَنْكَثَة بن عامر بن مخزوم خمسينَ من الإبل، وَأَعْطَىٰ السَّهْمِيَّ خمسين مِنَ الإبلِ [١٠٣٥].

قال ابن هشام: واسمه عديّ بن قيس.

العباس بن مرداس يسخط عطاءه ويعاتب النبي فيه

قال ابن إسحاق: وَأَعْطَى عَبَّاسَ بن مِرْدَاس أباعِرَ فَسَخطَهَا، فَعَاتَبَ فيها رَسُولَ الله ﷺ، فقال عباس بن مرداس يعاتبُ رَسُولَ الله ﷺ [من المتقارب]: .

[١٠٣٣] إسناده ضعيف؛ للانقطاع بين ابن هشام وزيد بن أسلم.
وأسلم أيضاً لم يدرك القصة.

[١٠٣٤] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٩٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٨٢ـ١٨٣) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤١٢) من طريق ابن إسحاق.

[١٠٣٥] ينظر المصادر السابقة.

كَانَتْ نِهَاباً تَلاَفَيْتُهَا بِكَرِّي عَلَى الْمُهْرِ فِي الأَجْرَعِ[1]
وَإِبْقَاظِيَ الْقَوْمَ أَنْ يَرْقُدُوا إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعِ[2]
فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعُبَيْـ ـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ[3]
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تُدْرَإٍ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئاً وَلَمْ أُمْنَعِ[4]
إِلاَّ أَفَائِلَ أُعْطِيتُهَا عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الأَرْبَعِ[5]
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلاَ حَابِسٌ يَفُوقَانِ شَيْخِيَ فِي الْمَجْمَعِ[6]
وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لاَ يُرْفَعِ[7]

قال ابن هشام: أنشدني يونس النحوي [من المتقارب]:

فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلاَ حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ

قال ابن إسحاق: فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «اذْهَبُوا بِهِ فَاقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ» فَأَعْطَوْه حتى رَضِيَ، فَكَانَ ذلك قَطْعُ لِسَانِهِ الذي أَمَرَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ [١٠٣٦].

قال ابن هشام: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ العلم، أَنَّ عباس بن مرداس أتى رسولَ الله ﷺ،

[١٠٣٦] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٩٠ـ٩١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٨٣) من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤١٢ـ٤١٣) من طريق ابن إسحاق.
وينظر «الدرر» (ص ٢٧٩) و«سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٩٩).

---

(١) كانت: يعني الإبلَ والماشِيَةَ، والنِّهَابُ: جمعُ نِهْبٍ وهو ما يُنْهَبُ ويُغْنَمُ، والأجْرَعُ: المكان السَّهْلُ.
(٢) هَجَعَ: هنا بمَعْنَى: نامَ.
(٣) العُبَيْدُ: اسمُ فرسِ عَبَّاس بن مِرْدَاس.
(٤) ذا تُدْرَإٍ، أي: ذا دَفْعٍ من قَوْلِك. دَرَأَهُ: إذا دَفَعَهُ.
(٥) أَفَائِلُ: جَمْعُ أفِيلٍ، وَهي الصِّغَارُ منَ الإبِل.
(٦) قال الشيخ أبو ذر الخشني: يَفُوقَان شَيْخِيَ، يعني: أباهُ عَبَّاساً، ومن قال: شَيْخَيَّ فَيَعْني أباهُ وجَدَّه. ورَواه الكوفِيّون: يَفُوقَانِ مِرْداسَ، ويَسْتَشْهِدون به على تَرْكِ صَرْفِ ما ينصرف لِضَرورَةِ الشِّعْر. وقد ذكر ابنُ هِشام أنَّ يونُسَ أنْشَدَهُ هكذا، ويُونسُ منَ البَصْرِيِّين.
(٧) تنظر الأبيات أو بعض منها في ديوانه ص (٨٤)، وخزانة الأدب (١/ ١٤٧، ١٥٣)، والأغاني (١٤/ ٣٠٨)، ولسان العرب (نهب)، وتاج العروس (نهب)، (عبد)، والإنصاف (٢/ ٤٩٩)، والدرر (١/ ١٠٤)، وسمط اللآلي (ص ٣٣)، وشرح التصريح (٢/ ١١٩)، وشرح المفصّل (١/ ٦٨)، والشعر والشعراء (١/ ١٠٧، ٣٠٦، ٢/ ٧٥٢)، والمقاصد النحويّة (٤/ ٣٦٥)، وبلا نسبة في سرّ صناعة الإعراب (٢/ ٥٤٦)، وشرح الأشموني (٢/ ٥٤٣)، ولسان العرب (١٠/ ٣١٦) (فوق)، وتاج العروس (فوق).

فَقَالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: «أَنْتَ الْقَائِلُ فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ بَيْنَ الأَقْرَعِ وَعُيَيْنَة» فقال أبو بكر الصديق: بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَع، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «هُمَا وَاحِدٌ» فقال أبو بكر: أَشْهَدُ أَنَّكَ كما قَالَ الله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩] [١٠٣٧].

أعطى رسول الله رجالاً من قريش وغيرهم

قال ابن هشام: وَحَدَّثَنِي مَنْ أَثِقَ به من أهلِ العلمِ في إسنادٍ له عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن (٢٤٩/أ) عتبة، عن ابن عباس، قال: بَايَعَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ قريشٍ وغيرِهِم فَأَعْطَاهُمْ يَوْمَ الْجِعْرَانَة مِنْ غَنائم حُنَيْنٍ.

من بني أمية بن عبد شمس: أبو سفيان بن حرب بن أمية، وطليقُ بْنُ سفيان بن أمية، وخالدُ بْنُ أُسيد بن أبي العيص بن أمية.

ومن بني عبد الدار بن قُصَي: شَيْبَةُ بن عُثْمَان بن أبي طلحة بن عبد الْعُزَّى بن عثمان بن عبد الدار، وأبو السَّنَابِل بن بَعْكَكَ بن الحرث بن عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار، وعِكْرِمَة [بن عامر] بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

ومن بني مَخْزُوم بن يَقَظَة: زهيرُ بن أبي أمية بن المغيرة، والحرث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم، والسائب بن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني عدي بن كعب: مطيعُ بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة، وأبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانم.

ومن بني جُمَحَ بن عمرو: صفوانُ بن أميَّة بْنُ خَلَف، وأُحَيْحَةُ بْنُ أُمَيَّة بْنِ خلف، وعُمَيْر بْنُ وهب بن خلف.

ومن بني سَهْم: عديُّ بْنُ قَيْس بْنِ حُذَافَة.

ومن بني عامر بن لؤي: حُوَيْطِبُ بْنُ عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد ود، وهشام بن عمرو بن ربيعة بن الحرث بن حُبَيِّب.

[١٠٣٧] إسناده ضعيف؛ لإعضاله وجهالة شيخ ابن هشام.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٤١٣).
وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٧٩ـ١٨٢) عن الزهري مرسلاً.

ومن أَفْنَاء القبائل: من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة: نوفلُ بْنُ معاويةَ بن عُرْوَة بن صَخر بن رَزْنٍ بن يَعْمَر بن نُفَاثة بن عديّ بن الدِّيل؛ ومن بني قَيْس، ثم من بني عامر بن صَعْصَعَة، ثم من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة: علقمةُ بْنُ عُلاَثة بْنِ عَوْف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، وَلبِيدُ بْنُ ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب، ومن بني عامر بن ربيعة: خالدُ بْنُ هَوْذَة بْنِ ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وحَرْمَلَة بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو؛ ومن بني نَصْر بن معاوية: مالكُ بن عَوْف بن سعيد بن يَرْبُوع؛ ومن بني سُلَيم بن منصور: عَبَّاس بن مِرْدَاس بن أبي عامر، أخو بني الحرث بن بُهْثَةَ بن سُليم؛ ومن بني غَطَفَان، ثم من بني فَزَارَة: عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْن بْنِ حُذَيفة بن بدر؛ ومن بني تميم، ثم من بني حَنْظَلَة: الأقرع بن حابس بن عِقَال، من بني مجاشع بن دارم [١٠٣٨].

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي محمدُ بْنُ إبراهيم بن الحرث التَّيْمِي، أن قائلاً قَالَ لرسولِ الله ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ: يا رسولَ الله، أَعْطَيْتَ عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ وَالأَقْرَعَ بن حابس مائةً مائةً، وَتركتَ جُعَيْل بن سُرَاقة الضَّمْرِيَّ، فقال رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لجُعَيْل بْنُ سُرَاقَةَ خَيْرٌ مِنْ طِلاَعِ الأَرْضِ كُلُّهُمْ مِثْلُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَلٰكِنِّي تَأَلَّفْتُهُمَا لِيُسْلِمَا وَوَكَلْتُ جُعَيْلَ بْنَ سُرَاقَةَ إِلَى إِسْلاَمِهِ» [١٠٣٩].

شأن ذي الخويصرة التميمي

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي أبو عبيدة بن محمد بن عَمَّار بن ياسر، عن مِقْسَم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحرث بن نوفل، قال: خَرَجْتُ أنا وَتَليدُ بن كلاب الليثي حَتَّى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يَطُوفُ بالبيتِ مُعَلِّقاً نَعْلَهُ بِيَدِهِ، فقلنا له: هَلْ حَضَرْتَ رسولَ الله ﷺ، حين كَلَّمه التميميُّ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قال: نعم، جَاءَ رَجُلٌ من بني تميم يُقَالُ له: ذو الْخُوَيْصِرة، فَوَقَفَ عليه وهو يُعْطِي الناسَ، فقال: يا محمد، قَدْ رَأيتُ ما صَنَعْتَ في هذا اليوم، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَجَلْ، فَكَيْفَ رَأَيْتَ»؟ فقال: لم أَرَكَ عَدَلْتَ، قال: فَغَضِبَ النبيُّ ﷺ، ثم قال: «وَيْحَكَ! إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَدْلُ عِنْدِي، فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ»؟

[١٠٣٨] ينظر «البداية والنهاية» (٤/ ٤١٢ـ٤١٣) و«سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٩٩ـ٤٠٠).

[١٠٣٩] إسناده ضعيف؛ لإرساله.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٩١) والبيهقي (٥/ ١٨٣) من طريق ابن إسحاق.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤١٤) والصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٤٠١) من طريق ابن إسحاق.

فقال عمر بن الخطاب: يا رَسُولَ الله أَلاَ أَقْتُلُهُ؟ فقال: «لاَ، دَعْهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ (٢٤٩/ب) لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ[١] حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ[٢]، يَنْظَرُ فِي النَّصْلِ[٣] فَلاَ يُوجَدُ شَيْءٌ، ثم فِي الْقِدْحِ[٤] فَلاَ يُوجَد شَيْءٌ، ثُمَّ فِي الْفُوقِ[٥] فَلاَ يُوجَدُ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْثَ[٦] وَالدَّمَ» [١٠٤٠].

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر، بمثل حديث أبي عبيدة، وسماه ذا الخويصرة [١٠٤١].

قصيدة لحسان في غضبه لعدم عطاء الأنصار:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن أبيه، بِمِثلِ ذلك [١٠٤٢].

قال ابن هشام: وَلَمَّا أَعْطَىٰ رَسُولُ الله ﷺ مَا أَعْطَىٰ في قريش وقبائل العرب ولم يُعْطِ الأَنْصَار شيئاً، قال حسان بن ثابت يعاتبه في ذلك [من البسيط]: .

[١٠٤٠] أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر مقبول يعني عند المتابعة، وإلا فليس، كما نص على ذلك الحافظ في «مقدمة التقريب».
وينظر التقريب (٢/ ٤٤٨).
ومقسم مولى عبد الله بن الحارث: صدوق وكان يرسل. وينظر «التقريب» (٢/ ٢٧٣).
وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٩٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٨٦) كلاهما من طريق ابن إسحاق به.
وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري.
أخرجه البخاري (٧/ ٣٢٤ـ٣٢٥) كتاب المناقب. حديث (٣٦١٠) ومسلم (٢/ ٧٤١). كتاب الزكاة: باب ذكر الخوارج وصفاتهم ـ حديث (١٤٣ـ١٠٦٤) وابن حبان (٦٧٤١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٢٧ـ٤٢٨).
[١٠٤١] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٩٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٨٧) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
وينظر الحديث السابق.
[١٠٤٢] ينظر الحديث السابق.

---

(١) يَتَعَمَّقُون في الدِّين، أي: يَتَتَبَّعُون أَقْصَاه، وعُمْق الشيءِ: بُعْدُ قَعْرِه وهو بالعَيْن المهملة.
(٢) الرَّمِيَّةَ: الشيءُ الذي يُرْمَى.
(٣) النَّصْلُ: حَدِيدُ السَّهْم.
(٤) القَدْحُ: السَّهْمُ.
(٥) الفُوقُ: طَرَفُ السَّهْم الذي يُباشِر الوَتَر.
(٦) الفَرْثُ: ما يُوجَد في كَرِش ذي الكَرِشَ.

زَادَ الْهُمُومُ فَمَاءُ الْعَيْنِ مُنْحَدِرُ ... سَحّاً إِذَا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَرُ[1]

وَجْداً بِشَمَّاءِ إِذْ شَمَّاءَ بَهْكَنَةٌ ... هَيْفَاءُ لاَ دَنَسٌ فِيهَا وَلاَ خَوَرُ[2]

دَعْ عَنْكَ شَمَّاءَ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا ... نَزْراً وَشَرُّ وِصَالِ الْوَاصِلِ النَّزِرُ[3]

وَائْتِ الرَّسُولَ فَقُلْ: يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ ... لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدِّدَ الْبَشَرُ

عَلاَمَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْيَ نَازِحَةٌ[4] ... قُدَّامَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوا؟

سَمَّاهُمُ اللَّهُ أَنْصَاراً بِنَصْرِهِمُ ... دِينَ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَعِرُ[5]

وَسَارَعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهُ وَاغْتَرَفُوا ... لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجِرُوا[6]

وَالنَّاسُ أَلْبٌ عَلَيْنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا ... إِلاَّ السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَزَرُ[7]

نُجَالِدُ النَّاسَ لاَ نُبْقِي عَلَى أَحَدٍ ... وَلاَ نُضَيِّعُ مَا تُوحِي بِهِ السُّوَرُ

وَلاَ تُهِرُّ جُنَاةُ الْحَرْبِ نَادِيَنَا ... وَنَحْنُ حِينَ تَلَظَّى نَارُهَا سُعُرُ[8]

كَمَا رَدَدْنَا بِبَدْرٍ دُونَ مَا طَلَبُوا ... أَهْلَ النِّفَاقِ وَفِينَا يَنْزِلُ الظَّفَرُ

وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أُحُدٍ ... إِذْ حَزَّبَتْ بَطَراً أَحْزَابَهَا مُضَرُ[9]

فَمَنْ وَنَيْنَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا ... مِنَّا عِثَاراً وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا[١٠٤٣][10]

[١٠٤٣] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤١٥).
وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٤٠٤)

---

(١) السَّحُّ: الصبُّ، يُقال: سَحَ المَطَرُ إذا صَبَّ حَفَلَتْهُ، أي: جَمَعَتْهُ، ومنه المَحفِلُ وهو مُجْتَمَعُ النَّاس، وعَبْرَةٌ: دَمْعَةٌ، وَدَرَرٌ: سائلَةٌ.

(٢) الوَجْدُ: الحُزْنُ، وشَمَّاءُ هنا: اسْمُ امْرأةٍ، وبَهْكَنَةٌ، أي: كَثيرةُ اللَّحم. وهَيْفاءُ: ضامِرَةُ الخَصْر. ولا دَنَسٌ: تروى بثلاث روايات: «لا دنسٌ»، ولا «دَنَسٌ» والأُولى معروفة، ودنن: تطامن الصدر وغوره، ودنن: ما يسيل من الأنف، هكذا قال الشيخ أبو ذر الحشني، والخَوَرُ: الضَّعْفُ.

(٣) النَّزْرُ: القَليلُ.

(٤) نَازِحَةٌ: بعيدةٌ.

(٥) الحربُ العَوانُ: هي التي قوتِل فيها مرّةً بعد مرّةٍ، وتَسْتَعِرُ، أي: تَلْتهِبُ وتَشْتَعِلُ.

(٦) اغْتَرَفُوا، أي: صَبَرُوا، ومَا خَامُوا، أي: ما جَبُنُوا. وما ضَجَرُوا، أي: ما أصابَهم حَرَجٌ ولا ضِيق.

(٧) والنَّاسُ أَلْبٌ، أي: مُجْتَمِعُون. والوَزَرُ: المَلْجَأُ.

(٨) لا تُهِرُّ، أي: لا تَكْرَهُ. والنَّادِي: المَجْلِسُ. وسُعُر، أي: نُوقِدُ الحَرْبَ ونَشْعَلُها.

(٩) والنَّعْفُ: أَسْفَلُ الجَبَل، وحَزَّبَتْ: جَمَعَتْ وأعان بعضُهَا بعضاً.

(١٠) ما وَنَيْنَا، أي: ما فَتَرْنَا، وينظر ديوانه ص (٢٠٦، ٢٠٧)، والبداية والنهاية (٤/ ٤١٥).

مقالة الأنصار وخطبة رسول الله ﷺ فيهم

قال ابن هشام: حَدَّثَنِي زياد بن عبد الله، قَالَ: حدثنا ابن إسحاق، وَحَدَّثَنِي عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخُدْرِي، قال: لما أعطىٰ رَسُولُ الله ﷺ مَا أَعْطَىٰ من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العربِ، ولم يَكُنْ في الأنصارِ منها شيءٌ وَجَدَ هذا الحيُّ من الأنصارِ في أَنْفُسِهِمْ، حتى كَثُرَتْ منهم الْقَالَةُ، حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسولُ الله ﷺ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عليه سَعْد بن عُبَادة، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ هذا الحيَّ مِنَ الأنصارِ قَدْ وَجَدوا عليك في أَنْفُسِهِمْ لما صَنَعْتَ في هذا الفيء الذي أَصَبْتَ، قَسَّمْتَ في قَوْمِكَ وأعطيتَ عطايا عِظَاماً في قَبَائِلِ العربِ، ولم يَكُ في هذا الحيِّ مِنَ الأنصارِ منها شيءٌ، قال: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ»؟ قال: يا رسولَ الله، ما أنا إلا مِنْ قَوْمِي، قال: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هٰذِهِ الْحَظِيرَةِ»[1] قال: فخرج سَعْدٌ فَجَمَعَ الأنصارَ في تلك الحظيرة، قال: فَجَاءَ رِجَالٌ من المهاجرين فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجاءَ آخرون فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا له أتاه سعد فقال: قد اجتمعَ لك هذا الحيُّ مِنَ الأنصارِ، فأتاهم رسولُ لله ﷺ، فَحمد اللَّهَ، وأثنى عليه بما هو أهلُهُ، ثم قال: «يَا معشَرَ الأنصارِ مَا قَالَةٌ[2] بَلَغَتْنِي عَنْكُم؟ وَجِدَةٌ[3] وَجَدْتُمُوهَا عَلَيَّ فِي أَنْفُسِكُم؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ الله، وَعَالَةً[4] فَأَغْنَاكُمُ الله، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ الله بَيْنَ قُلُوبِكم» قالوا: بلى، الله ورسولهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ[5]، ثم قال: «أَلاَ تَجِيبُونني يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ»؟ قالوا: بِمَاذَا نُجِيبُكَ يا رَسُولَ الله؟ لله ورسوله المنُّ والفَضْلُ، قال ﷺ: «أَمَا وَالله، لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولاً[6] فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيداً فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلاً[7] فَآسَيْنَاكَ[8]، أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لَعَاعَةٍ[9] مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْماً لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلاَمِكُمْ، أَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ الله إِلَىٰ رِحَالِكُمْ؟ فَوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرأً مِنَ

---

(١) الحَظِيرةُ: شِبْهُ الزَّرب الذي يُصْنَع للمَاشِيَة والإبِل.

(٢) القَالةُ: الكَلامُ الرَّدِيءُ.

(٣) الجِدة: هي الموجدة، والموجدَة: العِتابُ، وأكْثَر ما تكون الجدَةُ في المال.

(٤) العالَةُ: الفُقَراءُ.

(٥) أَمَنُّ: هو مِنَ المِنَّةِ، وهي النِّعْمَةُ.

(٦) المخْذولُ: هو المتروك، يُقال: خَذَلَه القومُ إذا تَرَكوه ولم يَنْصرُوه.

(٧) العائِلُ: الفَقِير، وقد تقدم.

(٨) آسَيْنَاكَ، أي: أعْطَيناكَ حتى جَعلْناك كَأَحَدِنا.

(٩) اللُّعاعة: بَقْلَةٌ خَضْراءُ ناعِمَةٌ شَبَّهَ بها زَهْرَةَ الدُّنْيا ونَعِيمَهَا.

الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً[1] وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ (٢٥٠/أ) شِعْباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ، ارْحَمِ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ» قال: فبكى القومُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا لحاهم[2]، وَقَالُوا: رَضِينَا برسولِ الله قسْماً وَحَظًّا، ثم انصرفَ رَسُولُ الله ﷺ، وتفرقوا [١٠٤٤].

عُمْرَةُ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الْجِعْرَانَةِ وَاسْتِخْلاَفُهُ عَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ عَلَىٰ مَكَّة، وَحَجُّ عَتَّابٍ بِالْمُسْلِمِينَ، سَنَةَ ثَمَانٍ

قال ابن إسحاق: ثم خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ من الْجِعْرَانَة معتمراً، وَأَمَرَ ببقايا الْفَيءِ فحُبِسَ بِمَجَنَّة بناحية مَرِّ الظَّهْرَان، فلمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ عُمْرَته انْصَرَفَ رَاجِعاً إلى المدينة، واستخلف عَتَّاب بن أسيد على مَكَّةَ، وَخَلَّفَ معه مُعَاذ بن جَبَل يُفَقِّه النَاسَ في الدينِ وَيُعَلِّمُهُم القرآنَ، واتُّبع رسول الله ﷺ ببقايا الفيء [١٠٤٥].

رسول الله يرزق عامله كل يوم درهماً

قال ابن هشام: وبلغني عن زيد بن أسلم أنه: قَالَ لمَّا استعملَ النبيُّ ﷺ عَتَّاب بن أَسيد على مكَّةَ رَزَقَه كلَّ يومٍ دِرْهَماً، فقام، فخطب الناسَ، فقال: أَيُّهَا النَّاسُ، أَجَاعَ الله كَبِدَ مَنْ جاعَ على درهمٍ، فقد رزقني رسولُ الله ﷺ درهماً كُلَّ يومٍ، فليست بي حاجةٌ إلى أَحَدٍ [١٠٤٦].

قال ابن إسحاق: وكانت عُمْرَةُ رسولُ الله في ذي القعدة، فقدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ في بقيةِ ذي القعدة، أو في أول ذي الحجة [١٠٤٧].

[١٠٤٤] إسناده حسن

وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

وأخرجه أحمد (٣/ ٧٦) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٩٣ـ٩٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٧٦ـ١٧٧) من طريق محمد بن إسحاق.

[١٠٤٥] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٩٤ـ٩٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٠٢ـ٢٠٣) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

[١٠٤٦] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤٠/ ٤٢٢) عن ابن هشام.

[١٠٤٧] ينظر المصدر السابق.

---

(١) الشِّعْبُ: الطريق بين جَبَلَين.

(٢) حتى أَخْضلوا لِحاهُم، أي: بَلُّوها بالدُّموع، والغُصْنُ الخَضِلُ: هو الذي بَلَّهُ المَطَرُ.

قال ابن هشام: وَقَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المدينَةَ لستٍّ ليالٍ بَقِينَ مِنْ ذي القعدةِ، فيما قال أبو عمرو المدني [١٠٤٨].

قال ابن إسحاق: وَحَجَّ الناسُ تلك السنةَ عَلَىٰ ما كانت العربِ تَحجُّ عليه، وَحَجَّ بالمسلمين تلك السنَة عَتَّاب بن أسيد، وهي سنة ثمانٍ، وَأَقَامَ أهلُ الطائفِ على شِرْكِهِمْ وامتناعِهِم في طائفهم، ما بين ذي القعدة إذ انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى شَهْرِ رَمَضَانَ من سنةِ تسعٍ [١٠٤٩].

أَمْرُ كَعْب بْنِ زُهَيْرٍ، بَعْدَ الانْصِرَافِ عَنِ الطَّائِفِ

نصيحة بجير لأخيه كعب

ولمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ من مُنْصَرَفِهِ عَنِ الطائفِ كتب بُجَيرُ بن زُهَيْر بن أبي سُلْمَى إلى أخيه كَعْب بن زُهَيْر يخبرُهُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَتَلَ رجالاً بمكَّة ممن كان يَهْجُوهُ ويؤذيه، وأَنَّ مَنْ بقي من شعراءِ قريشٍ ابنَ الزِّبَعْرَي وهُبَيْرَةَ بن أبي وهب قد هربوا في كُلِّ وَجْه، فَإِنْ كانت لك في نَفْسِكَ حاجةٌ فَطِرْ إلى رسولِ الله ﷺ؛ فإنه لا يَقْتُلُ أحداً جاءه تائباً، وإنْ أَنْتَ لم تَفْعَلْ، فَانْجُ إلى نَجَائِكَ مِنَ الأرضِ، وكان كعب بن زهير قال [من الطويل]:

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً ... فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ وَيْحَكَ هَلْ لَكَا؟
فَبَيِّنْ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ ... عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلَّكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أُلْفِ يَوْماً أَبَاً لَهُ ... عَلَيْهِ وَمَا تُلْفِي عَلَيْهِ أَبَاً لَكَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ ... وَلاَ قَائِلٍ: إِمَّا عَثَرْتَ لَعاً لَكَا[1]
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأْساً رَوِيَّةً ... فَأَنْهَلَكَ المَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا [١٠٥٠][2]

قال ابن هشام: ويروى: «المأمور» وقوله: «فبيِّن لنا» عن غير ابن إسحاق، وأنشدني، بَعْضُ أهلِ العلمِ بالشِّعْرِ، وَحَديثه [من الطويل]:

[١٠٤٨] ينظر المصدر السابق.

[١٠٤٩] ينظر المصدر السابق.

[١٠٥٠] أخرجه الحاكم (٣/ ٥٨٣) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٧٦ـ١٧٨) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١١) كلهم من طريق ابن إسحاق به.
وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٣) عن ابن إسحاق أيضاً.

---

(١) فَلَسْتُ بآسِفٍ، أي: بِنَادِمٍ. لَعاً لَك، لَعاً: كَلِمَةٌ تُقال للعاثِر، ومعناها قُمْ وانْتَعِشْ.
(٢) النَّهَلُ: الشَّرْبُ الأوَّلُ، والعَلَلُ: الشُّرْبُ الثَّاني. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٤٢٣).

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً ... فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ بِالْخَيْفِ هَلْ لَكَا؟[1]
شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأْساً رَوِيَّةً ... فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا
وَخَالَفْتَ أَسْبَابَ الْهُدَى وَاتَّبَعْتَهُ ... عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكَا[2]
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أُمًّا وَلاَ أَباً ... عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخاً لَكَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ ... وَلاَ قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ: لَعاً لَكَا [١٠٥١][3]

قال: وبعث بها إلى بُجَير، فلمَّا أتت بُجيراً كَرِهَ أَنْ (٢٥٠/ب) يكتمَها رَسُولَ الله ﷺ، فَأَنْشَدَهُ إياها، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لما سَمِعَ: «سَقَاكَ بِهَا المأمون»: «صَدَقَ وَإِنَّهُ لَكَذُوبٌ، أنا المأمون» ولما سَمِعَ: «عَلَى خُلُقٍ لم تلفِ أما ولا أبا عليه» قال: «أَجَلْ، لَمْ يُلْفِ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلاَ أمه»، ثم قال بجير لكَعْب [من الطويل]:

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْباً فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي ... تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلاً وَهْيَ أَحْزَمُ؟
إِلَى اللَّهِ، لاَ الْعُزَّى وَلاَ الَّلاتِ، وَحْدَهُ ... فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لاَ يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ ... مِنَ النَّاسِ إِلاَّ طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدِينُ زُهَيْرٍ وَهْوَ لاَ شَيْءَ دِينُهُ ... وَدِينُ أَبِي سُلْمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ[4]

قال ابن إسحاق: وإنما يقولُ كعب: «المأمون» (ويقال: «المأمور» في قول ابن هشام) لقولِ قريش الذي كانت تقولُهُ في رسولِ الله ﷺ [١٠٥٢].

خوف كعب ومجيئه المدينة

قال ابن إسحاق: فلمَّا بَلَغَ كعباً الكتابُ ضَاقَتْ بِهِ الأرضُ، وَأَشْفَقَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَأَرْجَفَ به من كان في حَاضِرِهِ من عَدُوِّهِ، فقالوا: هو مقتولٌ، فلَمَّا لم يَجِدْ من شيءٍ بُدًّا، قال قصيدته التي يَمْدَحُ فيها رسولَ الله ﷺ وذكر فيها خَوْفَهُ وإرجافَ الوشاةِ به من عدوِّه، ثم خَرَجَ حتى قدم المدينة، فَنَزَلَ على رَجُلٍ كانت بينه وبينه معرفةٌ من جهينةَ، كما ذكر

[١٠٥١] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٣) عن ابن هشام.
[١٠٥٢] ينظر «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٤).

---

(١) الخَيْفُ: أَسْفَلُ الجَبَل.
(٢) وَيْبَ غَيْرِكَ، وهو بِمَعْنَى: وَيْحَ غَيْرِك.
(٣) ينظر البداية والنهاية (٤/ ٤٢٣).
(٤) فَدِينُ زُهَيْرٍ وهو لا شَيءَ دِينُهُ، يعني: أباه. وَدينُ أبي سُلْمَى: يعني جَدَّهُ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٤٢٤).

لي، فَغَدَا به إلى رسولِ الله ﷺ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، فَصَلَّىٰ مَعَ رسولِ الله ﷺ، ثم أَشَارَ له: إلى رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: هذا رسولُ الله، فقم إليه فاسْتَأْمِنْهُ، فذُكِر أنه قَامَ إلى رسولِ الله ﷺ حتى جَلَسَ إليه، فَوَضَعَ يَدَهُ في يَدِهِ، وكان رسولُ الله ﷺ لا يعرفُهُ، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ كَعْبَ بن زهير قد جَاءَ ليستأمن مِنْكَ تائباً مسلماً، فهل أنت قَابِلٌ منه إن أنا جئتُكَ به؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «نعم» قال: أَنَا يا رسولَ الله كعبُ بن زهير [١٠٥٣].

قصيدة كعب في مدح النبي وهي البردة

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وَثَبَ عليه رَجُلٌ من الأنصارِ، فقال: يا رَسُولَ الله، دَعْنِي وَعَدُوَّ الله، أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «دَعْهُ عَنْكَ؛ فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِباً نَازِعاً عَمَّا كَانَ عليه» قال: فَغَضِبَ كعب على هذا الحيِّ من الأنصارِ لما صَنَعَ به صاحبُهم، وذلك أنه لم يَتَكَلَّمْ فيه رَجُلٌ من المهاجرين إلاَّ بخيرٍ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ التي قال حين قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ[1] [من البسيط]:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ[2]

[١٠٥٣] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٤).

---

(١) قصيدة كعب يُقال لها: «قصيدة بانت سُعاد» لأنه أوّلها، واسمها في الحقيقة «قصيدة البردة». وقد شرحَها من المتقدمين مشيخة من العلماء، ومن المتأخرين جِلّة من الأماثل الفضلاء. ومن أذكاهم فهماً، وأوفاهم علماً، وأصفاهم قريحة سمحة، وأشدهم فطنةً تدرك اللّمحة، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاريّ، فإنه رحمه الله شرح هذه القصيدة شرحاً يجلُّ عن الوصف، ويكلّ الذهنُ عن إدراك مزاياه وإن كان حديد الطّرفِ. ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ١٩).

(٢) بانتْ: ذَهَبَتْ وفارَقَتْ. والبَيْنَ: الفِراقُ: وسُعادُ: اسْمُ امرأةٍ، ومَتْبولُ: هالكٌ، وأصْلُه منَ التَّبْل وهو طَلَبُ الثَّأْر، ومُتَيَّمٌ: مُعَبَّدٌ مُذَلَّلٌ، ومنه تَيْمُ اللاَّت أي: عبدُ اللاَّت.
والمصراع الأول قد وقع صدرَ قصيدةٍ للشمّاخ وهو ضَحَابِيٌّ أيضاً، قال ابن السّكّيت في كتاب «سرقات الشعراء»: هذا ما اتفقَ من الأبيات لشاعرين مختلفين إلا القافية. قال امرؤ القيس [من الطويل]:

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيَّهُم ... يقولون: لا تهلك أسًى وتجَمَّلِ

وقال طَرَفةُ [من الطويل]:

وقوفاً بها صَحبي عليَّ مطيَّهُم ... يقولون: لا تهلك أسًى وتجلَّدِ

وقال الشمّاخ [من البسيط]:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... وكان مِنْ قِصَرٍ من عهدها طول

وأورد من هذا النمط ما يزيد على مائة بيت؛ وأمّا القصائد التي أوّلها «بانت سعاد» فكثيرة تزيد على خمسمائة قصيدة، منها قول ربيعة بن مقرُوم وهو مُخَضْرَمٌ [من البسيط]:

بانت سعاد فأمسى القلبُ معمودا ... وأخلَفَتْك ابنةُ الحُرّ المواعيدا

ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ١٦٩).

وَمَا سُعَادُ[1] غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ... إِلاَّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ[2]

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً ... لاَ يُشْتَكَى قِصَرٌ مِنْهَا وَلاَ طُولُ[3]

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ ... كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ[4]

شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ... صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ[5]

---

(١) قال صاحب «النبراس»: سعادُ المذكورة في أول القصيدة هي امرأة كعب، وهو مسبوقٌ بالنَّوَويّ فإنه قال في كتاب «تهذيب الأسماء واللغات» سعاد امرأة كعب بن زُهير المرادة بقوله:

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ .....

مذكورة في المهذّب في الشهادات في سماع الشعراء، انتهى. وذكر ابن الحنبليّ في «رسالة تقسيم الشعر» أنَّ التشبيب بالزوجة ليس مُحَرماً، وذكر السمرقندي في كتاب «الأحكام» أنَّ كعباً لما أنشده ﷺ «بانت سعاد» قال منكراً: من سعاد؟ فقال: سعاد زوجتي، فاستمعَها. هذا ولا يخفى أن تشبيب الشاعر بزوجته مستبعد مروءة ونخوة لا سيما عند العرب، والله أعلم، وحملُ التشبيب على امرأة يدّعي عِشقها أسْلمُ وأكرَمُ، ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

(٢) الأغَنُّ هنا: الصبيُّ الصغِيرُ الذي في صَوْتِهِ غُنَّةٌ وهو صوْتٌ يَخْرُج من الخياشيم. وغَضِيضُ الطَّرْف: فاتِرُ الطَّرْف.

(٣) هَيْفاءُ: ضامِرَةُ البَطْن والخَصْر، وعَجْزاءُ: عظيمةُ العَجِيزة وهي الرِّدْفُ.

(٤) تَجْلُو، أيْ: تَصْقُلُ. والعَوارِضُ هنا: الأسْنَانُ، والظَّلْمُ: شِدَّةُ بَرِيق الأسْنان، ويُقالُ: هو ماؤها. وَمُنْهَلٌ: مَسْقِيٌّ، والرَّاح: من أسْماءِ الخَمْرِ. والمصراع الثاني وقع في شِعْرِ جِرَانِ العَوْدِ وهو:

تُجْرِي السِّوَاكَ على عَذْبٍ، مُقَبَّلُهُ ... كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بالرَّاح مَعْلُولُ

والبيت من قصيدة له هي أوَّلُ ديوانِهِ.

وجِرانُ العَوْدِ شاعر جاهِليٌّ، وهو لُقِّبَ به لِقَوْلِهِ يُخاطِبُ امْرَأتيه [من الطويل]:

رَأَيْتُ جِرَانَ العَوْدِ قد كاد يُصْلِحُ .....

والجِران ـ بكسر الجيم ـ: باطِنُ العُنُقِ الذي يَضَعُهُ البَعِيرُ على الأرض إذا مَدَّ عُنُقَهُ لِيَنَامَ، كَانَ يُعْمَلُ منه الأسْوَاطُ لِلضَّرْبِ، وَالعَوْدُ ـ بفتح العين المهملة وسكون الواو وآخره دال مهملة ـ: هو الجَمَلُ المُسِنُّ، اتَّخَذَ منه سَوْطاً وهَدَّدَهُمَا به. ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ٤٠٤).

(٥) قال الجوهري: وشجّت السفينة البحر أي: شقّته، وشَجَجْتُ المَفَازَةَ: قَطَعْتُها، قال الشاعر [من الطويل]:

تَشُجُّ بِيَ الْعَوْجَاءُ كُلَّ تَنُوفَةٍ ... كَأَنَّ لَهَا بَوًّا بِنِهْيِ تُغَاوِلُهْ

انتهى.

شُجَّتْ: مُزِجَتْ. بِذِي شَبم، يعني: ماءً بارداً، والشَّبَمُ: البَرْدُ، والمَحْنِيَةُ: مُنْتَهى الوَادِي، ويُقال: ما انْعَطَف منه. وأبْطَحُ: مَوْضِعٌ مَهْلٌ وَمَشْمُولٌ: عليه ريحُ الشَّمال وهي عندهم باردَةٌ إذَا هَبَّتْ.

أراد كعب ريحاً طيبة بعد ريح مثلها على سبيل التناوب لا الرياح جميعها، فإن الماء لا يصفو عند هبوب الرياح جميعها، وأما الريح الشديدة فهي آية عذاب، وجمعها آية رحمة، قال السيوطي في الإتقان: الريح ذكرت مجموعة ومفردة، فحيث ذكرت في سياق الرحمة جمعت أو سياق العذاب أُفردت، أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أُبيّ بن كعب قال: كل شيء في القرآن من الرّياح فهي رحمة، وكلّ شيء فيه من الريح فهو عذاب، ولهذا أورد في الحديث: «اللَّهُمَّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً». وذكر في حكمة ذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والهيئات والمنافع، وإذا =

تَـنْـفِـي الـرِّيَـاحُ الْـقَـذَى عَـنْـهُ وَأَفْـرَطَـهُ مِـنْ صَـوْبِ غَـادِيَـةٍ بِـيـضٌ يَـعَـالِـيـلُ[1]
فَـيَـالَـهَـا خُـلَّـةً لَـوْ أَنَّـهَـا صَـدَقَـتْ بِـوَعْـدِهَـا أَوْ لَـوَ أَنَّ الـنُّـصْـحَ مَـقْـبُـولُ[2]

= هاجت منها ريح أُثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها، فينشأ من بينها ريح لطيفة تنفع الحيوان والنّبات فكانت في الرحمة رياحاً، وأما في العذاب فإنها تأتي من وجه واحد ولا معارض لها ولا دافع، وقد خرج عن هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] وذلك لوجهين، لفظي: وهو المقابلة في قوله: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢] وربّ شيء يجوز في المقابلة ولا يجوز استقلالاً نحو ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [٣/ ٥٤]؛ ومعنوي: وهو أن تمام الرحمة هناك إنما يحصل بوحدة الريح لا باختلافها، فإن السفينة لا تسير إلاّ بريح واحدة من وجه واحد، فإذا اختلفت عليها الريح كان سبَبَ الهلاك، فالمطلوب هناك ريح واحدة، ولهذا أكد هذا المعنى بوصفها بالطيّب، وعلى ذلك أيضاً جرى قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ﴾ [الشورى: ٣٣]، وقال ابن المنير: إنه على القاعدة لأنّ سكونَ الريح عذابٌ وشدةٌ على أصحاب السُفن. وقال الحريري في درة الغواص: ذكر أهل التفسير أنه لم يأتِ لفظ الرِّياح إلاّ في الخير، قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤] وقال تعالى: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [الذاريات: ٤١] وقال في الرِّياح: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦] وهذا هو معنى دعائه عليه الصّلاة والسّلام عند عصوف الريح: «اللَّهُمَّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»؛ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: هاجت ريح أشفق منها رسول الله ﷺ ثم استقبلها وجثا على ركبتيه ومدّ يديه إلى السماء ثم قال: «اللّهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً، اللّهُمَّ اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً»؛ وذكر ابن عمران: الرياحُ المذكورة في القرآن ثمان أربع رحمة وأربع عذاب، فأما التي للرحمة فالمبشرات والمرسلات والذاريات والناشرات، وأمّا التي للعذاب فالصرصر والعقيم، وهما في البر، والعاصف والقاصف، وهما في البحر، انتهى كلامُ الحريري. ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ٥٧١ ـ ٥٧٢).

(١) القَذَى: ما يَقَع في الماء من تِبْنٍ أو عُودٍ أو غَيْره، وكذلك ما يَقَع في العين أيضاً. وأفْرَطَهُ، أي: سَبَق إلَيْهِ ومَلأهُ. وصَوْبٌ: مَطَرٌ، وغادِيَةٌ: سَحَابَةٌ مَطَرَتْ بالغُدُوّ، واليَعَالِيلُ: الحَبَابُ الذي يَعْلو على وَجْهِ الماءِ وهي رُغْوَتُه.

(٢) ويروى:

أكرم بها خلة..... .....

وقوله: «أكرم بها» في المصباح: كرم الشيء كرماً: نفس وعز، وكرائم الأموال: نفائسها وخيارها وأكرمته إكراماً.

«ويروى يا ويحها خلّة وويلمها خلّةً»: لم يروِ أبو العباس الأحول غيرَها، وزادهما نفطويه على رواية: أكرمْ بها خُلّةً، ولم يروهما الخطيبُ التبريزي ولا عبد اللطيف البغداديّ، وروى الأربعةَ الشارحُ البغداديّ، وكلُ من الكلمتين تُقالُ للشيء الحسن لدفع إصابةِ العينِ عنه، والأُولى كلمة رحمةٍ وإشفاق تُشْعِرُ أنَّ القولَ له تلك قد أصابه مكروه فيتوجع له ويترحّم عليه، والثانية كلمةُ ذم خرجت مخرجَ المدح، والعربُ تستعملُ لفظَ الذمّ في المدح، يُقال: أخزاه الله ما أشعرَهُ، ولعنه اللهّ ما أجرأه، وكذلك تستعملُ لفظَ المدح في الذم، يُقال للأحمق: يا عاقل، وللجاهل: يا عالمُ، ومعناه: يا أيها العاقل عند نفسه أو عند من يظنه عاقلاً؛ وأما قولهم: أخزاه الله ما أشعره ونحو ذلك من المدح الذي يخرجونه بلفظ الذمّ فلهم في ذلك غرضان، أحدهما: أنّ الإنسان إذا رأى الشيء =

لَـكِـنَّـهَـا خُـلَّـةٌ قَـدْ سِـيـطَ مِـنْ دَمِـهَـا فَـجْـعٌ وَوَلْـعٌ وَإِخْـلافٌ وَتَـبْـدِيـلُ[1]

= فأثنى عليه ونطق باستحسانه فربما أصابه بالعين وأضرّ به فيعدلون عن مدحه إلى ذمه لئلا يؤذوه، والثاني: أنهم يريدون أنه قد بلغ غاية الفضل، وحصل في حد من يذم ويُسَبُّ؛ لأن الفاضل يكثر حساده والمعادون له، والناقص لا يُلْتَفَتُ إليه، ولذلك كانوا يرفعون أنفسهم من مهاجاة الخسيس ومجاوبة السفيه. وفي القاموس: رجلٌ وَيْلُمِّهِ ـ بكسر اللام وضمها ـ داهٍ، ويُقال للمستجاد: ويلمِّه، أي ويل لأمه، كقولهم: لا أب لك، فركّبوه وجعلوه كالشيء الواحد ثم لحقته الهاء مبالغةً كداهية، انتهى. وهذا استعمال ثان جعل المركّبَ في حكم الكلمة الواحدة، وليست الهاء في آخره بضمير، بل هي تاء تأنيث للمبالغة فلا تعريفَ؛ ولهذا يقع وصفاً لنكرة، قال أبو زيد في كتاب «مسائية»: يُقال: هو رجل وَيلُمِّهِ، قال ابن جنّي في «سر الصناعة»: هو من قولهم: ويلمّ سعد سعداً، والاشتقاقُ من الأصوات بابٌ يطولُ استقصاؤه، وعلى هذا يجوز دخول لام التعريف عليه، قال الرياشي: الوَيْلُمَّةِ من الرجال الداهية الشديد لا يُطاق، انتهى. ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ٦٤٣ ـ ٦٤٤).

والخُلَّةُ هنا: الصَّدِيقَةُ؛ يُقال: هي خُلَّتي أي: صَديقَتي وصاحِبَتي.

(١) قال الخشني: قَدْ سِيطَ من دَمِهَا: يُرْوَى بالسِّين وبالشِّين، فَمَن رَواه بالسِّين المُهملة فمعناه: خُلِطَ، تقولُ: سُطْتُ الشَّيءَ أسُوطُه: إذا خَلَطْتَهُ وَمَزْجتَهُ. ومَن روَاه بالشِّين المعجمة، فمعناه: غَلاَ وارْتَفَع، يُقال: شاطَ الدَّمُ يَشيطُ: إذا غَلاَ، وبالسِّين المهملة أحْسَنُ في المَعْنى، والوَلْعُ: الكَذِبُ.
وهذا وأمثاله من أقاويل العشاق ليس بذمّ صِرْفٍ إنما يوردونه لأحد غرضين، إما لإظهار التلذّذ بالصبر على ما يفعله المعشوق والرضا بأفعاله، كما قال ابن أبي الحديد [من الكامل]:

مـتـغـيـرٌ مـتـلـوِّنٌ مـتـعـتِّـبٌ مـتـعـنِّـتٌ مـتـمـنِّـعٌ مـتـدلِّـلُ

ذكر عدةَ خصالٍ من جناية الحبيب وتجنيه وتلونه وتأبّيه، ثم قال بعد ذلك:

أسـتـعـذبُ الـتـعـذيـبَ فـيـه كـأنـمـا جُرَعُ الحميم هي البَرُودُ السلسلُ

وإما لتنفيرِ مَنْ يسمعُ بحسن معشوقهم عن عشقه فيصفو موردُ العشق من كَدَرِ الغَيْرَةِ ويخلو العاشقُ بما يجلو بَصَرَهُ من المشاهدةِ، وقد عَرَّض بهذا الغرض ابنُ سناءِ الملك في قوله [من الكامل]:

أشـكـو إلـيـهـا رقـتـي لـتـرقّ لـي فـتـقـولُ تـطـمـعُ بـي وأنـت كـمـا تـرى
وإذا بـكـيـتُ دماً تـقـولُ شَـمِـتَّ بـي يـومَ الـنـوى فَـصَـبَـغْـتَ دَمْـعَـكَ أحـمـرا
مـن شـاء يـمـنـحـهـا الـغـرامَ فـدونـه هـذي خـلائـقـهـا بـتـخـيـيـر الـشـرا

وقد صرَّح به ابنُ أبي الحديد في قوله [من الطويل]:

فـيـا ربِّ بَـغِّـضْـهَـا إلـى كـلّ عـاشـقٍ سـواي وقَـبِّـحْـهَـا إلـى كـلّ نـاظـر

وقد بالغ ابنُ الخياط الدمشقي في تصريحه [من الطويل]:

أغـارُ إذا آنـسـتُ فـي الـحـيِّ أنَّـةً جِـذَاراً وخَـوْفـاً أن تـكـونَ لِـحُـبِّـهِ

وربما عيب على كعبٍ هذا الكلام؛ لأنه يُشْعِرُ بأن معشوقته تَعِدُ وتخلف وتبدِّل، وأين هو من قول كُثير في وصف معشوقته عَزّة [من الطويل]:

كـأنِّي أُنـادي صـخـرةً حـيـن أعـرَضـت مـن الصُّـمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زَلَّتِ
جَـمُـوحٌ فَـمَـا تَـلْـقَـاكَ إلاَّ بَـخِـيـلـةً فـمـن مَـلَّ مـنـهـا ذلـك الـوصـلَ مَـلَّـتِ

ويمكن أن يُعْتَذَرَ لكعب رضي الله عنه بأن مراده المبالغةُ في فرط دلالها وبخلها بوصالها بحيث لو صاحبت صاحباً لاستبدلت به وفجعته، ولو وعدتْ بالوصل لكذبت في وعدها ومَطَلَتْ، على أنها لا تصاحبُ مصادقاً ولا تعدُ بوصالها عاشقاً، وهو قريبٌ من قول الآخر: =

فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا ... كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ[1]
وَمَا تُمَسِّكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ ... إِلاَّ كَمَا يُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ[2]
فَلاَ يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ... إِنَّ الأَمَانِيَّ وَالأَحْلاَمَ تَضْلِيلُ
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ[3] لَهَا مَثَلاً ... وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلاَّ الأَبَاطِيلُ
أَرْجُو وَآمُلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا ... وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيلُ[4]

= ولا تَرَى الضَبَّ بها ينجحر

أي لا ضبّ بها فينجحر، فيكون كلامه من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم، قاله الشارح البغدادي. ينظر حاشية بانت سعاد (١/ ٧٠١ ـ ٧٠٢).

(١) الغُوْلُ: ساحِرَةُ الجِنِّ، ونقل الإمام النّووي في شرح مسلم وابن الأثير في النهاية، أنه ليس المراد نفي وجود الغُول وإنما معناه إبطالُ ما تزعمه العرب من تَلَوُّن الغُوْل بالصور المختلفة واغتيالها. قالوا: ومعنى «لا غُوْل» أي لا تستطيع أن تُضِلَّ أحداً، ويشهد له حديث آخر: «لا غُوْل ولكن السَّعالي...» وفي الحديث الآخر: «إذا تَغَوَّلت الغِيْلانُ فَبادِروا بالأذان»، أي ادفعوا شرَّها بذكر الله. وهذا دليل على أنه ليس المراد نفي أصل وجودها. وفي حديث أبي أيوب: «كان لي تمرٌ في سَهْوَةٍ، وكانت الغُوْل تجيء فتأكل منه». ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٣٠).

(٢) وقد ضمَّن ابنُ نُباتة المصري المِصْراع الثاني فقال [من البسيط]:

لم تُمسِكِ الهُدْبُ دَمعي حينَ أذكركم ... إلاّ كما يُمْسِكُ الماءَ الغرابيلُ

(٣) عُرقُوبٌ: اسمُ رَجُلٍ أخْلَفَ مَوْعِداً فِي حَدِيثٍ مشهور فَضَرَبَتِ العَرَبُ بِهِ المَثَل في خُلْفِ الوَعْدِ.
وهذا البيت استئناف بياني وقع جَواباً للسؤال عن سبب النهي في البيت السابق، وجملة: «وما مواعيدها» معطوفة على جملة «كانت». وروى أبو العبّاس الأحول ونفطَويه: «وما مواعيده» بضمير عرقوب، فتكون الجملة حالاً من عرقوب، و «مواعيد» جمع ميعاد بمعنى الموعد مصدر ميمي، وهو العامل في الحال وذيها.
وقال الخطيب التبريزي وتبعه البغداديان: إن قوله: كانت مواعيد عرقوب... البيت، تأكيد لما تقدمه من أن هذه المرأة لا تفي بوعدها إذا وعدت، فمواعيدها كمواعيد عرقوب الذي سار به المثل في الخُلْف، هذا كلامه. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤).

(٤) إخالُ: بِكَسْرِ الهمزة: لُغَةٌ لِبَني تَميم.
وهذا البيت ساقط من رواية نفطويه ورواه أبو العباس الأحول كذا [من البسيط]:

أرجُو وآمُلُ أن يَعْجَلْنَ في أبَدٍ ... وما لَهُنَّ طَوالَ الدهرِ تَعجيلُ

قال [الأحول]: في أبدٍ، في دهرٍ، ويروى:

.... ومَا لنا عندهُنَّ اليومَ تعجيل

أي، لا يُعَجِّلن وصْلَنا. وفي الرّواية الأولى يقول: آمل وأرجو، وما أظن ذلك يكون أبداً، انتهى. وطَوال ـ بفتح الطاء ـ بمعنى طول، وقال البغدادي في شرح هذه الرواية: الضمير في «يعجلن» و «لهن» لعواعيدها في البيت قبله، ويعجلن من العجلة، يقال: عاجله وأعجله، إذا سبقه، وعَجِل هو كفَرِح يقول: أرجو أن تسبق مواعيدها وتسرع إنجازها في دهرٍ ولا يحصل ذلك، انتهى. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لاَ يُبَلِّغُهَا ... إِلاَّ الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ (١)
وَلَنْ يُبَلِّغَهَا إِلاَّ عُذَافِرَةٌ ... لَهَا عَلَى الأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ (٢)
مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ ... عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلاَمِ مَجْهُولُ (٣) (٢٥١/ أ)
تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ ... إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحِزَّانُ وَالْمِيلُ (٤)

---

(١) المَراسِيلُ: السَّريعةُ، لهذا البيت ابتداء خلوصه من الغزل وتوطئة للمدح، وجملة أمست.. إلخ. استئنافية. والمراسيل جمع مرسال إلخ، هٰذه عبارة التبريزي، وقال أبو العبّاس الأحول: والمراسيل السِّراع، الواحدة رسلة، وهي التي تعطيك ما عندها عفواً لا تعنُّك. وقال ابن الأنباري في شرح المفضليات: المراسيل السِّراع السهلات في السير، يُقال: إن واحده مرسال، ويُقال: إنه جمع على غير قياس واحدها رسلة، انتهى. ورسلة ضُبِطت بفتح الراء وكسرها وسكون السين فيهما، وقال نفطويه: المراسيل التي تسرع وتتقدم الإبل، انتهى. وقال الجوهري: وخاله صاحب ديوان الأدب، المرسال الناقة السهلة السير. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٣٣٢، ٣٤١).

(٢) عُذَافِرَةٌ: نَاقَةٌ ضَخْمَةٌ، والأَيْنُ: الفُتور والإعياءُ، والإرْقَال، والتَّبْغِيلُ: ضَرْبان منَ السَّيْر. الصدر جاء في شعر الشمّاخ من قصيدة [من البسيط]:

وحال دونك قوم في صدورِهِمُ ... من الضغينةِ والغِشِّ البلابيلُ
ولن يبلِّغها إلاَّ عُذَافِرَةٌ ... نَضْحُ الكُحَيْلِ بِذِفْرَيْها عَشاكِيلُ

(٣) قال الشيخ أبو ذر: نَضَّاحَةٌ بالحاءِ والخاءِ: هي التي يَرْشَحُ عَرَقُها. وقال اللُّغَويُّون: النَّضْخُ بالخاء المعجمة أكثرُ من النَّضح. والذِّفْرَى: عَظْم في أصْلِ الأُذُن، وَعُرْضَتُهَا: الشَّيءُ الذي تَقْوَى عليه. ومَن روَاه: وَلاَحَهَا فمعناه: أضْعَفَهَا، وطامِسُ: مُتَغَيِّرٌ، والأعْلامُ: العَلاماتُ التي تكون في الطُّرُق يُهْتَدَى بها، وأراد: أنَّه ليس بها عَلَمٌ، «مِنْ» تبعيضية أو مبيّنة، قال الرضي: وتعرف «من» البيانية بأن يكون قبل «مِن» أو بعدها مبهَم يصلح أن يكون المجرور بمن تفسيراً له ويقع ذلك المجرور على ذلك المبهم، كما يُقال مثلاً للرجس: إنه الأوثان، وللعشرين: إنها الدراهم وللضمير في قولك: عزّ مِن قائل أنه القائل بخلاف التبغيضية، فإن المجرور بها لا يطلق على ما هو مذكور بعدها أو قبلها؛ لأن ذلك المذكور بعض المجرور، واسم الكل لا يقع على البعض، فإذا قلت: عشرون من الدراهم، فإن أشرت بالدراهم إلى دراهم معيّنة أكثر من عشرين من تبعيضيّة لأن العشرين بعضها، وإن قصدت بالدراهم جنس الدراهم فهي مبيّنة لصحة إطلاق اسم المجرور على العشرين، انتهى كلام الرضي، فعلى هٰذا إن عنى بكلّ نضاخةٍ ما يشمل الناقة العُذافِرة وغيرها فمن تبعيضيّة، وإن عنى بها العذافرة فقط مبالغة في أنها هٰذا الجنس فهي بيانية. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٣٦٥).

(٤) الغيوب: جمع غائب، ويروى في مكانه النجاد، قال الخشني: والنَّجَادُ هنا: جمعُ نَجْدٍ وهو ما ارْتَفَع منَ الأرْض، والمُفْرَدُ هنا: الثَّوْرُ الوَحْشِيُّ الذي انفرد في الصَّحْراء، واللَّهَقُ: الأبْيَضُ بفتح الهاء وكسرها، والحِزَّانُ بالحاء المهملة: المَوَاضِع المُرْتَفِعَةُ واحِدُها حَزِينٌ. والمِيلُ هنا: العَلَمُ الذي يُبْنَى على الطَّريق.
عجز البيت وقع في شعر عبدة بن الطبيب، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهليّة والإسلام، وكان في جيش النعمان بن مُقَرِّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن، وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أوّلها [من البسيط]:

هَلْ حَبْلُ خَولَةَ بَعْدَ اليومِ مَوصولُ ... أم أنت عنها بَعِيدُ الدارِ مشغولُ؟ =

ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا فَعْمٌ مُقَيَّدُهَا ... فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ[1]
غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ ... فِي دَفِّهَا سَعَةٌ قُدَّامَهَا مِيلُ[2]
وَجِلْدُهَا مِن أَطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ ... طِلْحٌ بِضَاحِيَةِ الْمَتْنَيْنِ مَهْزُولُ[3]
حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ ... وَعَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ[4]
يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ ... مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ[5]

= حلّت خُوَيلةُ في دارٍ مُجاوِرةً ... أهل المدينةِ فيها الديكُ والفيلُ
يُقارعون رءوسَ العُجْمِ ضاحِيةً ... منهم فَوارسُ لا عُزْلٌ ولا مِيلُ

وقد أوردها المفضل في المفضليات، ومنها في وصف ناقته [من البسيط]:

تَهدي الركابَ سَلُوفٌ غَيرُ غافلةٍ ... إذا تَوقَّدتِ الجِزّانُ والمِيلُ.

ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١).

(١) مُقَلَّدُها: عُنُقُها. وفَعْمٌ: مُمتلئ، ومُقَيَّدُها: موضعُ القَيْد مِنْهَا.
المِصراع الثاني جاء في شعر الشمّاخ الصحابي، قال في وصف ناقة من قصيدة [من البسيط]:

وقَد تُلافَى بِيَ الحَاجاتِ ناجيةٌ ... في خَلْقِها عن بَناتِ الفَحْل تفضيل

قال شارحه: تلافَى تدارك، ناجيةٌ ناقة تنجو في سيرها أي تسرع. وقوله: في خلقها عن بنات الفحل تفضيل، ويروى: عن تمام الفحل، أي هي أفضل خلقاً من الفحل. انتهى كلامه. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٢١).

(٢) هذا البيت ساقط من رواية أبي العباس الأحول ومن رواية نفطويه ووقع في قصيدة الشماخ كذا [من البسيط]:

غَلْبَاءُ رقباء عُلْكُومٌ مُذَكَّرةٌ ... لِدَفِّها صَفْصَفٌ قُدَّامَه مِيلُ

ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٣٨).

(٣) وقع في شعر الشمّاخ هذا البيت كذا [من البسيط]:

وجِلدُها من أَطومٍ ما يؤيِّسُهُ ... طِلْح كضاحيةِ الصَّيداءِ مَهْزُولُ

ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٥٠).

(٤) حَرْفٌ: شَدِيدةٌ. أخوها أبوها وعَمُّها خالُها: يريد أنها مُداخَلَةُ النَّسب في الكرَم لم يَدْخُل في نَسَبِها، هَجِينٌ وَالمُهَجَّنَةُ هنا: الكَرِيمَة وهي من الهِجَانِ، وهي البِيضُ من الإبِل وهي كِرَامُها. وقَوْدَاءُ: طَويلةٌ. وشِمْلِيلٌ: سَريعةٌ.
وهٰذا البيت ساقط من رواية نفطويه، وقد أخذ هذا البيت من أوس بن حجر الجاهِلي، وكان والدُ الناظم زُهَير روايته، قال في قصيدة من أوّل ديوانه وصف فيها ناقته [من البسيط]:

حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِن مُهَجَّنَةٍ ... وعَمُّها خالُها وَجْناءُ مِئْشِيرُ

ومئشير ذات أشَرٍ ونَشاط، وقال أبو العَبَّاس الأحوَل: هذا البيت يوضع في شعر النابغة الذبياني وفي شعر أوس بن حَجَر، إلاّ أن القافية على الراء، وموضع شِمْلِيل مِئشير مفعِيل في هٰذا الموضع. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٦٥).

(٥) لَبَان: صَدْرٌ. وأقْرَاب: جَمْعُ قُرْبٍ؛ وهي الخاصِرَةُ وما يَليها، وزَهالِيلُ: مُلْس.
وقع المصراع الأوّل في شعر الشمّاخ كذا [من البسيط]:

تَذُبُّ ضَيفاً من الشَّعْراء منزِلُهُ ... منها لَبَانٌ وأقرابٌ زَهَالِيلُ

ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٨٠).

عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ[1]
كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحَهَا مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ[2]
تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ فِي غَارِزٍ لَمْ تُخَوِّنْهُ الأَحَالِيلُ[3]

---

(١) عَيرانَة: تُشبهُ العَيْرَ في شِدَّته ونشاطِهِ. والعَيْرُ هنا: حِمارُ الوَحْشِ، والنَّحْضُ: اللَّحمُ، والزَّوْرُ: أَسْفَلُ الصَّدر.
أخذ المصراع الثاني الأخطل النصراني وقال [من البسيط]:
قَنْواءُ نَضَّاخَةُ الذِّفْرَى مُفَرْجَةٌ مِرْفَقُها عن ضُلُوعِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ
قال البغدادي: عَيْرانة خبر مبتدأ محذوف، أي: هي عَيْرانة أو صفة أُخرى لحرفٍ وموضع «قذفت» رفع صفة أُخرى لحرف أو صفَة، عيرانة إن كانت خبراً والباء للتعدية وفيها مَعْنى الاستعَانة والبَيَان، وعن عُرُضٍ متعلّق بقذفت، وعن بمعنى من لابتداء الغاية، ويجوز أن تكون على بابها للمجاوزة والانتقال، كأنّ اللحم انتقل إليها عن مرعاها، ويجوز أن يكون عن عُرُض في مَوْضِع نصب على الحال، إمّا من النّحض أي كائناً عن عرض، أو منتقلاً عن عرض، أو من التّاء من قذفت، أي آخذه عن عُرُضٍ أو ناقلة عنه، وعَامِل الحال على كلا التقديرين «قُذفت»، وموضع مرفقها مفتول رفع صفة حرفٍ أو عَيْرانة إذا جعلت خبراً، وعن متعلّقة بمفتول، انتهى. وقوله: أو من التاء من قذفت سهو، وصوابه: أو من الضمير المستتر في «قذفت»، فإن تاء التأنيث حرف.
وقال البغدادي: مفتول مُتَباعِد. قال صاحبا «المُجْمَل» و«الصحاح»: الفَتْل ـ بالتحريك ـ تباعُد ما بين المِرْفَقَين عن جنبَي البَعير، وقال التبريزي وابن الأنباري: المفتول المُدْمَج المحكم، وهٰذا ليس بمعروف مع عدم تناسب الكلام، انتهى. ويؤيّده قول الأخْوَل: يريد بانت قوائِمُها عن جُنوبها وخواصِرها، فهي لا يصيبها ضاغط ولا حاز ولا ناكِت، وإذا كانت كذلك كان أحمَد لها، انتهى. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٤٩٩ ـ ٥٠١).

(٢) لَحْيَيْها: هو تَثْنيَةُ لَحْي، وهو العَظْمُ الذي عليه الخدُّ واللِّحية لذي اللِّحْيَةِ. والخَطْمُ: الأنفُ، وَبِرْطِيلٌ. حَجرٌ طويلٌ، ويُقال: هي فاسٌ طويلةٌ.
أخذَ المصراعَ الأوّل الشماخ فقال [من البسيط]:
كأنّما فات عَيْنيها ومَذْبَحَها مُشَرْجَعٌ مِن عَلاةِ القَيْنِ مَمْطُولُ
قال شارحُه: أي كأنّما تقدّم عَيْنيها ومذبحها مُشَرْجَعٌ، قالوا: أي حديد ضُرِب وطُوِّل على سندَان الحدّاد، ويقال: أرَادَ بالمشرجع هنَا المِعْوَل، وإنما شبَّه طُول لِحيَيْها وصلابتها بعلاة القين، وممطول: مُطِل وطُوِّل، انتهى. قال البغدادي: جملة كأنّما فات إلخ في موضع رفع صفة حَزْف أو عَيْرانة، ومن خطمها متعلّق بفات، ومن لابتدَاء الغاية، وصفة بَرطيل تقدّمت عليه فصارت حالاً، ومن على هٰذا للتبيين، انتهى. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٥٠٢).

(٣) العسيب عظم الذنب كالعَسِيبَة أو منبت الشعر منه، وجريدة من النخل مستقيمة دقيقة يُكشَطُ خُوصُها، والذي لَمْ يَنبُت عليه الخُوص من السَّعَفِ، والسَّعَفُ جريد النخل أو ورقة، وأكثر ما يُقال إذا يبِسَت، وإذا كانت رطبَة فشطبه، انتهى. وفي المصبَاح: السعف أغصان النخل ما دامت بالخُوص، فإن زال الخُوصُ عنها قيل: جَريد. وقال البغدادي: العسيب جريد النخل، قاله العسكري والفارابي، وقال الجوهري: العَسِيب من السعف قُوَيق الكَرَب لم ينبت عليه الخُوص، وعَسِيبُ الذنب مَنبته من الجلد والعظم، شبّه ذنب الناقة ومَا عَليه من الشعر بالسَّعْفَة، وما عليها من الخُوص، وهو تشبيه حسن من باب تشبيه المحسوس بالمحسوس، وقيل: العَسِيب العِذْق، شبَّه =

قَنْوَاءُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا ... عِتْقٌ مُبِينٌ وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ[1]

تَخْدِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْيَ لاَحِقَةٌ ... ذَوَابِلٍ مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ[2]

سُمْرِ الْعُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الْحَصَا زِيَماً ... لَمْ يَقِهِنَّ رُءُوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ[3]

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرِقَتْ ... وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ[4]

يَوْماً يَظَلُّ بِهِ الْحَرْبَاءُ مُصْطَخِداً ... كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ[5]

وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ ... وُرْقُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا قِيلُوا[6]

شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ ... قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ[7]

نَوَّاحَةٌ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا ... لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ[8]

تَفْرِي اللَّبَانَ بِكَفَّيْهَا وَمِدْرَعُهَا ... مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ[9]

تَسْعَى الْغُوَاةُ جَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمُ: ... إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ

وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمُلُهُ: ... لاَ أُلْهِيَنَّكَ؛ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ

فَقُلْتُ: خَلُّوا سَبِيلِي لاَ أَبَا لَكُمُ، ... فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ

= ذنبَها به لانحنائه، وتفرّق ما يتفرّع منه، انتهى. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٥٠٩ ـ ٥١٠).

تَمُرُّ: تَمُدُّ وتُحرِّكُ، والعَسِيبُ: جَرِيدُ النَّخْل. والخُصَلُ: جمع خُصْلَةٍ وهي اللِّفَافَةُ من الشَّعَرِ. وَغارز: قليلُ اللَّبَنِ. لم تَخَوَّنْهُ، أي: لم تَنْقُصْهُ وَلَم تُضْعِفْهُ. والأحالِيلُ: جمعُ إحْلِيلٍ؛ وهو الثُّقْبُ الذي يخرج منه اللَّبَنُ، وهو من الذَّكَرِ الذي يخرج منه البَوْلُ.

(١) قَنْواءُ: في أنْفِهَا ارْتِفَاعٌ. وحُرَّتَاها: أُذُنَاهَا.

(٢) تَخْدِي: تُسْرِعُ. على يَسَراتٍ، يعني: قَوائِمَها؛ لأنّها تُحسِنُ السَّيْرَ بها كُلِّها. وَذَوَابِلُ: شدادٌ.

(٣) العُجَايات: جمعُ عَجَايَةٍ؛ وهي عَصَبٌ تكون فوق مِرْبَطِ القَيْدِ من ذي الخُفِّ ومِنْ ذي الحافر وَزِيَمٌ: متكَسِّرٌ مُتَفرِّقٌ، والأُكُمُ: الكُدَى واحِدَتُها: أكَمَةٌ.

(٤) الأوْبُ: الرُّجُوعُ، يقال: آب إلى كذا إذا رَجَعَ إليه. وتَلَفَّع: اشْتَمَلَ. والقُورُ جمعُ قارَةٍ وهي الجُبَيْلُ الصغيرُ. والعَساقِيلُ: لَمْعُ السَّراب.

(٥) الحِرْباءُ: ضَرْبٌ من العِظَاء ويُقالُ: هي أُمُّ حُبَيْن. ومُصْطَخِداً: مصطلياً بحر الشمس، ويروى: مرتبئاً: مرتفعاً. وَضَاحِيَهِ: مَا بَرَزَ مِنه للشَّمْس. وَمَمْلُولٌ: مُحْرَقٌ في المَلَّةِ، والمَلَّةُ: الحِجَارةُ، والجَمْرُ، والرَّمَادُ.

(٦) الْحَادِي: الَّذي يَسوق الإبل، والورق: جمع أورق، وهو الأخضر إلى سواد، ويروى «يُقِع»، والبُقْعُ: التي فيها ألْوانٌ، وكذلك الرُّقْطُ. والجَنادِبُ: جمعُ جُنْدُبٍ وهو ذَكَرُ الجَرَادِ. وقِيلوا: هو أمْرٌ من القَيْلِ القائلةِ أي: انْزِلُوا واستَرِيحوا.

(٧) فَالْعَيْطَلُ: الطَّويلةُ. والنَّصَفُ: المتوسِّطَةُ السِّنِّ، وَالْمَثَاكِيلُ جَمْعُ مِثكال وهي الفاقِدُ أيضاً.

(٨) الضَّبْعَان: لَحْمَتَا العَضُدَيْن.

(٩) تَفْرِي: تَقْطَعُ، واللَّبَانُ: الصَّدرُ، وَرَعابيلُ: قِطَعٌ مُتَفَرِّقَةٌ.

كُلُّ[1] ابْنِ أُنْثَى، وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُ، يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ[2]
نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي، وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ ـقُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ[3]
لاَ تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أُذْنِبْ، وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الْأَقَاوِيلُ[4]

---

(١) وكلمة «كلّ» هنا للمبالغة، أراد أن «كلاً» اسم موضع لاستغراق أفراد المنكَر، نحو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وهي في البيت ليست كذلك، فأجاب بأنّها فيه للمبالغة لا للتعميم كما في الآية: قال البيضاوي: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ [طه: ٥٦] بصّرناهُ إيّاها أو عَرّفناه صِحّتَها كلّها تأكيد لشمول الأنواع أو لشمول الأفراد، على أنّ المُراد بآياتِنا آيات معهودة هي الآيات التسع المختصّة بموسَى، أو أنّه أراه آياته وعدّ عليه ما أُوتيَ غيره من المعجزات، انتهى. وصَرّح الفاضل البهْلوان في شرح الكشّاف بأنّ «كُلاً» تستعمل للتكثير دون الإحاطة والتعميم، وكذا السّيد عند قول السكاكي، والتغليب يجري في كلّ فنّ، وكذا ابن الكمال الوزير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس: ٢٢] قال: إنّ لفظَ «كُلّ» قد يكون للتكثير والمبالغة لا للاستغراق كما في هٰذه الآية، وقال أيضاً في حاشية شرح المفتاح في أوّل الفن الثاني: إنّ لفظة «كُلّ» في قوله: في كلّ شجر نار «للتكثير» إذ لا نار في شجر العُنّاب. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٦٦٥).

(٢) على آلةٍ حَدْباءَ مَحْمُولُ، قيل: هي النّعْشُ، وقيل: هي الذّاهِيَةُ أي لا يُسْتَقَرُّ عليها.

(٣) هٰذا التفات عن الغَيْبَة إلى الخِطَاب؛ لأنّ الاسم الظاهر في حكم الغائب، وقول البغدادي: هو نوع من الالتفات، رَجْع من خطاب الوشاة والأخلاّء إلى خطاب الرسول عليه السّلام، غفلة عن البيت قبله. وجملة «فيها مَواعيظ» حال من نافلة، ورُوي: فيه مواعيظ، فتكون الجملة حالاً من القرآن، كقوله تعالى: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦] فمصبحين حال من هؤلاء، والوعظ النُّصح والتذكير بالعواقب، ومواعيظ جمع مَوعِظَة، ففيه ضرورتان: زيادة الياء من الكسرة المشبعَة، وصرف ما لا ينصرف بالتنوين، ولولاهما لزم أحد أُمورٍ ثلاثة: إمّا سقوطهما معاً فيصير الجزء مخبولاً هكذا: عِظُ وتَنْ فَعَلَتُن والخَبَلُ في هٰذا البحر، وإن كان سائغاً، إلاّ أنّه ليس بمستحسَن، لحصول الثّقَل بتوالي أربع متحرّكات بعدها ساكن، وإمّا ثبوت الياء وسقوط التنوين فيصير الجزء مطويًا، هكذا عِيظُ وتَفْ مُفْتَعِلُن، والطّيُّ في هٰذا البحر مع جوازه مستكرَه؛ لأنّه يتلو الخَبَل في الثّقَل لتوالي ثلاث متحرّكات بعدها ساكِن، وإمّا سقوط الياء وثبوت التنوين فيصير الجزء مخبوناً هكذا: عِظُن وتِفْ مَفاعِلُن، والخَبْن في سبُاعي هٰذا البحر وإن كان جائزاً لكنّه لا يُستحسَن كاستحسانه في خُماسِيّه، فجعلت المحافظة على المستحسَن ضرورة كالمحافظة على الواجب. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٧١٩ ـ ٧٢٠).

(٤) جملة «لا تأخذَنّي» لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها مفسرة جملة قوله: «مهلاً»، وهو من أخذه الله إذا أهلكه، أو من أخذه بذنبه إذا عاقبه عليه. ويُقال أيضاً: آخذه ـ بالمدّ ـ مؤاخذةً وتُبدَل الهمزة واواً في لغة اليمن فيقال: وآخذه، والباء للسببيّة، أو بمعنى اللام متعلّقة بتأخذ. وأذنَب يذنب أي فعل الذنب وهو الجُرم، وفي متعلق بكثرت، ويجوز أن يكون موضع نصب على الحال من الأقاويل، و «في» هنا بمعنى «عن» وبه رُوي أيضاً، ويجوز أن يكون جعل نفسه ظرفاً للأقاويل مجازاً. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٧٣٢).

لَـقَـدْ أَقُـومُ مَـقَـامًـا لَـوْ يَـقُـومُ بِـهِ ... يَـرَىٰ وَيَـسْـمَـعُ مَـا قَـدْ أَسْـمَـعُ الْـفِـيـلُ[1]
لَـظَـلَّ يُـزْعَـدُ إِلاَّ أَنْ يَـكُـونَ لَـهُ ... مِـنَ الـرَّسُـولِ بِـإِذْنِ الـلَّـهِ تَـنْـوِيـلُ[2]

---

(١) قال البغدادي: أقوم في موضع الماضي، والتقدير: لقد قُمتُ مقاماً صفته كذا، حتّى وضعت يميني لا أُنازِعه ليتناسب الكلام، فيكون الفعل وغايته من نوع واحد، وخصّ القتل تهويلاً وتعظيماً لقوّته، وضخم جسمه وعظم اسمِه، والمَقام ـ بالفتح ـ موضع الإقامة، وبالضم الإقامة نفسها. هٰذا هو الغالب، وقد يستعمل كلّ منهما في مكان الآخر، انتهى. وهٰذا هو كلام الكشاف في تفسير آية: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان: ٥١] قال: قرىء في مَقام ـ بالفتح ـ وهو موضع القيام، والمراد المكان، وهو من الخاص الذي وقع مستعملاً في معنى العُمُوم. وبالضم: مَوضع الإقامة، انتهى. فالمَقام في الأصل محل القيام خاصةً، ثم تجوّز به في جميع الأمكنة، حتى قيل لموضع القُعود: مقام وإن لم يقم فيه أصلاً، وسُئِلَ أبو السعود المفتي عن الفَرْق بينهما فأجاب بما نصّه: إذا قيل: أقيم فلان مقام فلان، نظر إلى فلان الثاني إن كان المقام له، يُقال: مَقام ـ بفتح الميم ـ سواء كان الفعل أُقيم أو قام، وإن كان لغير الثاني في نفس الأمر يُقال: مُقام ـ بضمّ الميم ـ سَواء كان الفعل: أُقيم أو قام كالباء في حروف القسَم؛ لأنها الأصل فيه، والواو بدل عنها، والتاء بدل من الواو، فإذا قيل: التاء أُقيم مقام الواو، يُقال: مُقام ـ بضم الميم ـ لأنّ المقام ليس للواو بل للباء في نفس الأمر؛ لأنّها أصل في القَسم. وعلى هٰذا يظهر فساد ما قيل من أنّ الفعل إذا كان من الثلاثي يكون مَقام ـ بفتح الميم ـ وإذا كان من المزيد يكون بضمّ الميم، انتهى. وهٰذا فرق يحتاج ثبوته إلى نقل من العربيّة. ينظر حاشية بانت سعاد (٢/ ٧٣٨ ـ ٧٣٩).

(٢) لَظَلَّ يَزْعَدُ إلاَّ أنْ يَكُونَ لَهُ: . . . . . البيت. .

الاستثناء من مقدّر عامّ، والتقدير: لظلّ يُرعَد في جميع الحالات إلاّ أن يكون له إلخ، وقال البغدادي: أن يكون في موضع نصب على الاستثناء وهو استثناء منقطع من غير الجنس، وهٰذا كلامه. وقال أيضاً: اللام في «الرسول» للعهد، وفي قوله: «بإذن الله» تلويحٌ لمعنى أُصولي، وهو أنّ النبي ﷺ غير متعبّد باجتهاده، ولا يفعل شيئاً إلاّ بالوحي من الله تعالى، والإذن منه كما هو رأي المحقّقين من علماءِ أُصول الفقه بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [النجم: ٣]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٤]، انتهى. وكتب أحد مشايخنا على هامش نسخته قوله: بإذن الله، قال ابن الكمال: أي بتسهيله وتيسيره بطرق المجاز المرسل، ونكتة المجاز الإشعار بصعوبة الأمر. قال صاحب الكشّاف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٦] لم يُرد به حقيقة الإذن، وإنّما جعل الإذْن مُستعاراً للتسهيل؛ لأنّ الدخول في حق المالك متعذّر، فإذا صودِف الإذن تسهّل وتيسّر، فلمّا كان الإذْن تسهيلاً لِما تعذّر من ذلك، وضع موضعه، وذلك أن دعاء أهل الشرك والجاهليّة إلى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتعذُّر، فقيل: بإذنه للإيذان بأنّ الأمر صعب لا يتأتّى ولا يُستَطاع إلاّ إذا سهّله الله ويسّره، ومنه قولهم في الشحيح: إنّه غير مأذونٍ له في الإنفاق، أي غير مُسَهَّلٍ عليه؛ لكونه شاقًّا عليه داخلاً في حَدّ التعذُّر، انتهى. وأراد بالمستعار معناه اللغوي، فلا يُنافي ما قلنا على وفق مصطلَح أهل البيان أنّه مَجاز مُرسل، انتهى كلام ابن الكمال، وذكر صاحب الكشّاف عند قوله تعالى: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١] أي بتسهيله وتيسيره، مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحِجاب، وذلك بما يمنحهم من اللطف والتوفيق، انتهى. قلت: ظاهر هٰذا أنّ معنى الإذن وحقيقته هو تسهيل الحجاب، وهٰذا في الظاهر غير ما نقله ابن الكمال عن الزمخشري، فإنّه يناسب ما ذكر في =

مَا زِلْتُ أَقْتَطِعُ الْبَيْدَاءَ مُدْرِعًا ... جُنْحَ الظَّلاَمِ وَثَوْبُ اللَّيْلِ مَسْدُولُ
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أُنَازِعُهَا ... فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قِيلُهُ الْقِيلُ
فَلَهْوَ أَخْوَفُ عِنْدِي إِذْ أُكَلِّمُهُ ... وَقِيلَ: إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولُ
مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الأَرْضِ مَخْدَرُهُ ... فِي بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ[1]
يَغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا ... لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ[2]
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لاَ يَحِلُّ لَهُ ... أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلاَّ وَهْوَ مَغْلُولُ[3]
مِنْهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الْجَوِّ نَافِرَةً ... وَلاَ تَمَشَّى بِوَادِيهِ الأَرَاجِيلُ[4]
وَلاَ يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ ... مُضَرَّجُ الْبَزِّ وَالدِّرْسَانِ مَأْكُولُ[5]
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زُولُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلاَ كُشُفٌ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيلٌ مَعَازِيلُ[6]

= المصباح: أذنت له في كذا: أطلقت له فِعلَه إلى أن قال: وكذا الإرادة نحو بإذن الله، انتهى. وحينئذ فالآية يمكن تفسير الإذن فيها بهذا، ومع هذا فكيف منع الزمخشري في ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ حمل الإذن على ذلك. وصرّح الزمخشري في «بإذن ربّهم» بأنّه مستعار، وحمله الكازروني على أنّه مجاز مرسل من إطلاق المقيّد على المطلق؛ لأنّ المُراد به مطلق التسهيل، وحمله سِنان أفندي على الاستعارة المصطلحة، وردّ كلام الكازروني حيث قال: قوله من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب، أي الذي هو يوجب التسهيل؛ لأنّ مفهومه ذلك. وعن جار الله أنّه قال: استعار الإذن للتسهيل والتيسير؛ لأنّ الدخول في حقّ المالك متعذّر، فإذا صُودِفَ الإذن يسهّل ويتيسّر. فلمّا كان الإذن تسهيلاً لِما تعذّر من ذلك وضع موضعه، انتهى. يعني بطريق الاستعارة المصطلحة دون المجاز المرسل إطلاقاً للملزوم على اللازم، انتهى كلام سنان. وفيه ردّ على ابن الكمال أيضاً، وذكر ابن عرفة ما حاصله أنّ تفسير الإذن بالتسهيل إنّما هو على طريقة المعتزلة القائلين بأنّ أفعال العِباد ليست مقدورة لله، وإنّما الله ييسّرها ويسهّلها. ينظر حاشية بانت سعاد (٣/ ٥ ـ ٧).

(١) وَضَيْغَمٌ: أَسَدٌ، وَضَرَّاءُ الأرض: مَا وَارَى مِن شَجَرٍ، وَمَخْدَرُ الأسد: غَابَتُهُ وأَجَمَتُهُ، وَعَثَّرُ: اسْمُ مَوْضِعٍ تُنْسَبُ إليه الأُسودُ، وَغِيلٌ: أَجَمَةٌ أيضاً.

(٢) يُلْحِمُ: يُطْعِمُهم اللَّحْمَ. ضِرْغَامَيْن؛ يعني: أَسَدَيْن وَأراد بهما شِبْلَيْه. مَعْفُورٌ أي: مُمَرَّغٌ بالْعَفَرِ، وهو التُّراب، وَخَرادِيلُ: مُتَقَطِّعَةٌ.

(٣) وَيُسَاوِرُ: يُوَاثِبُ، يُقال: سَاوَرَهُ: إِذَا وَاثَبَهُ، وَمَغْلُولُ: أي قد أُثِّرَ فيه.

(٤) الجَوّ ـ هنا ـ: موضعٌ، والأراجِيلُ: الجَماعاتُ من الرِّجال.

(٥) مُضَرَّجٌ، أي: مُخَضَّبٌ بالدِّماء، والبَزُّ: الثِّيابُ، والدِّرْسانُ: ثَوْبَانِ خَلَقان.

(٦) أَنْكاسٌ: جمعُ نِكْس وهو الدَّنِيءُ من الرِّجال، وَكُشُفٌ: لا تِراسَ لهم، ويُقَال: شُجْعَانٌ لا يَنْكَشِفُون، أي: لا يَنْهزِمون وهو جَمْعٌ، وَوَاحِدُهُ: أَكْشَفُ، وَمِيلٌ: جمعُ أَمْيَلَ، وهو الَّذِي لا سَيْفَ له، وقيل: هو الذي لا تُرْسَ له، وقيل: هو الذي لا يُحْسِنُ الرُّكوبَ فَيَميلُ عن السَّرْج، والمَعازِيلُ: الذين لا سِلاَح معهم.

شُمُّ الْعَرَانِينِ[1] أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ ... مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

بِيضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ ... كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ[2]

لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمُ ... قَوْماً وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا (٢٥١/ ب)

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ... ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ[3]

لاَ يَقَعُ الطَّعْنُ إِلاَّ فِي نُحُورِهِمِ ... وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ[4] [١٠٥٤]

قال ابن هشام: قال كعبُ هذه القصيدة بعد قُدُومِهِ على رسولِ الله ﷺ المدينة، وبيته: «حَرْفٌ أَخُوها أبوها» وبيته: «يَمْشِي الْقُرَادُ» وبيته: «عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ» وبيته: «تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ» وبيته: «تَفْرِي اللَّبَانَ» وبيته: «إِذَا يُسَاوِرُ قِرْناً» وبيته: «وَلاَ يَزَالُ بِوَادِيهِ» ـ عن غير ابن إسحاق [١٠٥٥].

قال ابن إسحاق: وقال عَاصِمُ بْنُ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ: فَلَمَّا قَالَ كَعبٌ: «إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ» وإنما يريدنا مَعْشَرَ الأنصارِ؛ لما كان صاحبُنا صَنَعَ به ما صنع، وَخَصَّ المُهَاجِرِين

[١٠٥٤] إسناده ضعيف؛ لإرساله.

وأخرجه الحاكم (٣/ ٥٨٣ـ٥٨٤) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٧٧ـ١٧٨).

وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

وذكره الحافظ ابن كثير بطوله في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٤ـ٤٢٧).

[١٠٥٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٨).

---

(١) العَرانِينُ: الأُنوفُ.

(٢) سَوابِغُ: كامِلَةٌ، شُكَّتْ: أي أُدْخِلَ بعضُها في بعضٍ، والقَفْعَاءُ: ضَرْبٌ مِن الحَسَكِ وهو نَباتٌ له شَوْكٌ تُشَبَّهُ به حَلَقُ الدِّرعِ، وَمَجْدولٌ: مُحْكَمُ السَّرْدِ.

(٣) يجوز في جملة «يمشون» ما جاز في جملة «لا يفرحون» والواو ضمير فِئة أو عُصْبَة، المراد بهم المهاجرون الذين هاجروا مع النبي ﷺ من مكّة المكرمة إلى المدينة المنوّرة، والمُراد بالسُّود التنابيل الأنصَار رضي الله عنهم؛ لما قدّمه الشارح في مقدّمة شرحه من أنّ بعضَ الأنصار قال: دعني يا رسول الله أضربُ عُنُقَه، فغضب كَعْب فعَرَّض بهم بالسّود التنابيل. ومثله لأبي العبّاس الأحوَل، قال في شرحه: يُقال: إنّما قال: السود التنابيل تعريضاً بالأنصار رضي الله عنهم، فأمره النبي ﷺ أن يمدحَهم، انتهى. قال السهيلي في «الرَّوض الأُنُف»: جعلهم سوداً لِما خالطَ أهل اليمن من السّودان عند غلبة الحبشة على بلادهم؛ ولذلك قال حسّان في آل جَفْنة [من الكامل]:

أولادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قبرِ أبيهِمُ ... بِيضُ الوجوهِ من الطِّرازِ الأوّلِ

يعني بقوله: «من الطِّراز الأوّل» أنّ آلَ جَفْنَةَ كانوا من اليمَن ثمّ استوطنوا الشامَ بعد سَيْل العَرِم، فلم تُخالِطهم السودان كما خالطوا من كان من اليمن، فهم من الطِّراز الأوّل الذي كانوا عليه في ألوانهم وأخلاقهم. ينظر حاشية بانت سعاد (٣/ ٩٥ ـ ٩٦).

(٤) وَتَهلِيل: فِرارٌ، يُقال: هلَّلَ عن قِرْنِه: إذا فَرّ مِنْهُ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٤٢٤ ـ ٤٢٧).

من قريش من أصحاب رسولِ اللَّهِ ﷺ بِمَدْحَتِهِ، غَضِبَتْ عليه الأنصارُ، فقال بعد أَنْ أسلم يَمْدَحُ الأنصار ويذكر بَلاءَهم مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وموضعهم من اليمن [من الكامل]:

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلاَ يَزَلْ ... فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ[1]

وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ ... إِنَّ الْخِيَارَ هُمُ بَنُو الْأَخْيَارِ

أَلْمُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْرُعٍ ... كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ[2]

وَالنَّاظِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ ... كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْإِبْصَارِ

وَالْبَائِعِينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ ... لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانُقٍ وَكِرَارِ

[وَالذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ ... بِالْمَشْرَفِيِّ وَبِالْقَنَا الْخَطَّارِ][3]

يَتَطَهَّرُونَ يَرَوْنَهُ نُسُكًا لَهُمْ ... بِدِمَاءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفَّارِ

دَرِبُوا كَمَا دَرِبَتْ بِبَطْنِ خَفِيَّةٍ ... غُلْبُ الرِّقَابِ مِنَ الْأُسُودِ ضَوَارِي[4]

وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمُ ... أَضْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ الْأَغْفَارِ[5]

ضَرَبُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً ... دَانَتْ لِوَقْعَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ[6]

لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عِلْمِيَ كُلَّهُ ... فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أُمَارِي[7]

قَوْمٌ إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ ... لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِي[8]

[فِي الْغُرِّ مِنْ غَسَّانَ مِنْ جُرْثُومَةٍ ... أَعْيَتْ مَحَافِرُهَا عَلَى المِنقارِ][9] [١٠٥٦]

[١٠٥٦] إسناده مرسل.

أخرجه الحاكم (٣/ ٥٨٤-٥٨٦) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ١٧٨-١٧٩) من طريق ابن إسحاق. =

---

(١) في مِقنَبٍ من صَالِحي الأنْصَارِ، المِقْنَبُ: الجَمَاعَةُ مِن الخَيْل، وجَمْعُهُ: مَقَانِبُ.

(٢) السَّمْهَرِيُّ: الرِّماحُ. كَسَوالِفِ الهِنْدِيِّ، يُريد: حَوَاشِيَ السُّيوفِ، وقد يُريد بِهِ: الرِّماحَ أيضاً؛ لأنها قد تُنْسَبُ إلى الهِنْدِ.

(٣) الذَّائدين، يريدُ: المانِعين. والدَّافِعين، والمشْرَفِيُّ: السَّيْفُ، وأراد به ههنا الجنسَ. والخَطَّارُ: المُهْتَزُّ.

(٤) دربوا: تَعَوَّدُوا، وخَفِيَّةُ: موضعٌ تُنْسَبُ إليه الأُسودُ، وغُلْبٌ: غِلاظٌ، وضَوَارٍ: مُتَعَوِّدةٌ.

(٥) مَعَاقِلُ: جمعُ مَعْقِلٍ، وهو الموضع المُمْتَنِعُ، والأغْفَارُ: جمعُ غُفْرٍ، وهو وَلَدُ الوَعْل.

(٦) ضَرَبُوا عَلِيًّا يومَ بَدرٍ ضَرْبَةً: يريد عليَّ بنَ مَسْعودِ بن مازِنٍ الغَسَّانيَّ، وإليه تُنْسَب بنو كِنانة؛ لأنه كَفَلَ ولدَ أخيه عبدَ مَناةَ بن كِنَانةَ بعد وفاته فَنُسِبُوا إليه.

(٧) أُماري، أي: أُجَادِل.

(٨) خَوتِ النُّجومُ، أي: غَرَبَتْ ولم يكن لها تأثير على زَعمهم. والطَّارِقون: الذين يأتُون بالليل، ومن أتاكَ لَيْلاً فقد طَرَقَكَ، والمَقارِي: جَمْعُ مِقْرَاةٍ، وهي الجَفْنَةُ التي يُصنعُ فيها الطَّعامُ للأضياف.

(٩) ينظر: البداية النهاية (٤/ ٤٣٠).

قال ابن هشام: ويُقال: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له حين أنشده [من البسيط]:

بَـانَـتْ سُـعَـادُ فَـقَـلْـبِـي الْـيَـوْمَ مَـتْـبُـولُ ....

«لَوْلا ذَكَرْتَ الْأَنْصَارَ بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّهُمْ لِذَلِكَ أَهْلٌ» فقال كعبٌ هذه الأبياتَ، وَهِيَ في قصيدةٍ له.

قال ابن هشام: وذُكر لي عن علي بن زيد بن جُدْعان أنه قال: أنشد كعب بن زهير رسولَ الله ﷺ في المسجد [من البسيط]:

بَـانَـتْ سُـعَـادُ فَـقَـلْـبِـي الْـيَـوْمَ مَـتْـبُـولُ .... [١٠٥٧]

غَزْوَةُ تَبُوكَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ(١)

[قال: حدَّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدَّثنا زياد بن عبد الله الْبَكَّائي،

= وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٩ـ٤٣٠).

[١٠٥٧] إسناده ضعيف؛ لانقطاعه وضعف علي بن زيد بن جدعان.

فالإنقطاع المذكور بين ابن هشام وعلي بن زيد، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

قاله الحافظ في «التقريب» (٢/ ٣٧).

والأثر ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٣٠) عن ابن هشام به.

---

(١) تَبُوك ـ بفتح الفوقية وضم الموحدة وهي أقصى أثر رسول الله ـ ﷺ ـ وهي في طرف الشام من جهة القبلة، وبينها وبين المدينة المشرفة اثنتا عشرة مرحلة. قال في النور: وكذا قالوا، وقد سرناها مع الحجيج في اثنتي عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة. والمشهور ترك صرفها للعلمية والتأنيث. وفي حديث كعب: ولم يذكرني رسول الله ـ ﷺ ـ حتى بلغ تبوكاً كذا في جميع النسخ في صحيح البخاري وأكثر نسخ صحيح مسلم تغليباً للموضع، وكذا قال النووي والحافظ وجَمعٌ. قال في التقريب: وهو سَهْوٌ؛ لأن علَّة منعه كونه على مثال الفعل «تَقُول» فالمذكر والمؤنث في ذلك سواءٌ.

قال في «الروض» تبعاً لابن قتيبة: سُمِّيت الغزوة بعين تبوك، وهي العين التي أمر رسول الله ـ ﷺ ـ ألا يمسوا من مائِها شيئاً فسبق إليها رجلان، وهي تبض بشيء من ماء فجعلا يدخلا فيها سهمين ليكثر ماؤها، فسبهما رسول الله ـ ﷺ ـ وقال لهما رسول الله ـ ﷺ ـ: ما زلتما تَبُوكانها منذ اليوم، فلذلك سُمِّيت العين تبوك. البوكُ كالنَّقْشِ والْحَفْرِ في الشيء، ويُقال: منه باك الحمارُ الأتانَ يَبُوكها إذا نزا عَليهَا. قال الحافظ: وقعت تسْمِيتها بذلك في الأحاديث الصحيحة «إنكم ستأتون غداً عين تبوك». رواه مالك ومسلم. قلت: صريح الحديث دالٌ على أن تبوك اسم على ذلك الموضع الذي فيه العين المذكورة. والنبي ـ ﷺ ـ قال هذا القول قَبْلَ أن يَصلِ تَبُوك بيوم. وذكرها في المحكم في الثلاثي الصحيح، وذكرها ابن قتيبة والجوهري وابن الأثير وغيرهم في المُعْتَل في بوك.

ووقع في الصحيح ذكرها بعد حجة الوَداع. قال الحافظ: وهو خطأ، ولا خلاف أنه قبلها ولا أظن =

عن محمد بن إسحاق الْمُطَّلِبي] قَال: ثم أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ ما بين ذي الحجَّةِ إلى رَجَبٍ، ثم أمر الناسَ بِالتَّهَيُّؤ لغزوِ الروم، وقد ذَكَرَ لنا الزُّهْرِيُّ ويزيد بن رُومَان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائنا، كُلٌّ حَدَّث في غزوة تَبُوكَ ما بلغه عنها، وبعض القوم يُحَدِّث ما لا يُحَدِّثُ بعضٌ؛ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزوِ الروم، وذلك في زَمَنِ عُسْرَةٍ من الناس، وَشِدَّةٍ من الحرِّ، وجَدْب من البلاء، وحين طابتِ الثمارُ، والناسُ يُحِبُّون الْمُقَام في ثمارهم وَظِلالِهِمْ، ويكرهون الشُّخوص على الحالِ من الزمانِ الذي هم عليه، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قَلَّما يَخْرُجُ في

= ذلك إلا من النُّسَّاخ، فإن غزوة تبُوك كانت في رجب سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف. وعند ابن عائذ من حديث ابن عباس: أنها كانت بعد الطائف بستّةِ أشهر، وليس مخالفاً لقَوْلِ من قال: إنها في رجب إذا حذفنا الكسور؛ لأنه ـ ﷺ ـ قد دخل المدينة من رجوعه إلى الطَّائف في ذي الحجة.

ويُقَال: إنها غَزْوَة العُسْرة والفاضحة: اخْتُلِفَ في سَبَبِها؛ فقيل: إنَّ جماعةً من الأنباط الذين يَقْدَمون بالزيت من الشام إلى المدينة ذكروا للمسلمين أن الرُّومَ جمعوا جُمُوعاً كثيرة بالشام، وأن هِرَقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجْلَبَت معهم لخمٌ وجُذَام وعَامِلَة وغَسَّان وغيرهم من متنصّرة العرب، وجاءَت مقدّمتهم إلى البَلْقاءِ ولم يكن لذلك حقيقة، وَلَمَّا بلغ رسول الله ـ ﷺ ـ ذلك نَدَب الناس إلى الخروج ـ نقله محمد بن عمر ومحمد بن سعد.

وروى الطبراني بسند ضعيف عن عمران بن حُصَيْن ـ رضي الله عنهما قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: أن هذا الرجل الذي قد خرج يَدّعي النُّبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم. فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن، فبعث رَجُلاً من عظمائهم وَجَهّز معه أربعين ألفاً فبلغ ذلك رسولَ الله ـ ﷺ ـ فأمر بالجهاد.

وقيل: إنَّ اليهود قالوا لرسولِ الله ـ ﷺ ـ: يا أبا القاسم إنْ كنْتَ صَادِقاً فالحق بالشام فإنَّها أرض الأنبياء، فغزا تبوك لا يريدُ إلاَّ الشام. فَلَمّا بَلَغ، تبوكَ أنزل الله تعالى الآيات من سورة بني إسرائيل: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء: ٧٦] رواه ابن أبي حاتم، وأبو سعد، النَّيْسَابُوري، والبيهقي بإسنادٍ حسن.

وقيل: إن الله سبحانه وتعالى لما منع المشركين من قربات المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش: لَتُقْطَعَنّ عنا المتاجر والأسواق ولَيَذْهَبَنّ ما كُنّا نصيبُ مِنْها، فعوَّضهم الله تعالى ـ عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتّى يسلموا أو يُعْطُوا الجزية عن يَدٍ وهم صاغرون كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٨، ٢٩] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة: ١٢٣] وعزم رسولُ الله ـ ﷺ ـ على قتال الروم؛ لأنَّهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدّعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام، رواه ابن مردويه عن ابن عباس وابن أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد، وابن جرير عن سعيد بن جُبير. ينظر السبل (٥/ ٤٣٣، ٤٧٩، ٤٨٠).

غَزْوَة إلاَّ كَنَى عنها، وأخبر أنه يريد غَيْرَ الوجه الذي يَصْمُدُ له[1]، إلاَّ ما كان من غزوةِ تبوك؛ فإنه بَيَّنَها للناسِ لِبُعْدِ الشقَّة[2] وشدَّةِ الزمانِ وكثرةِ العدو الذي يَصْمُدُ له؛ ليتأَهَّبَ النَّاسُ لذلك أُهْبَتَهُ، فأمر الناسَ بالجهازِ، وأخبرهم أنه يريدُ الرومَ، فقال رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ وهو في جهازه ذلك للجَدِّ بن قَيْسٍ أحدِ بني سَلَمة: «يَا جَدُّ، هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلاَدِ بنِي الأَصْفَرِ»[3]؟ فقال: يا رسولَ الله، أَوَ تَأْذَنُ لِي ولا تَفْتِنِّي، فوالله لقد عَرَفَ قومي (٢٥٢/ أ) أنه مَا مِنْ رَجُلٍ بأشدَّ عُجْبًا بالنساء مِنِّي، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أَنْ لا أَصْبِرَ، فأعرض عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ، وقال: «قَدْ أَذِنْتُ لَكَ» ففي الجد بن قيس نزلت هـذه الآيـة: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩] أي: إن كان إنما خَشِيَ الفتنةَ مِنْ نِسَاءِ بني الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنةِ أكبرُ بتخلُّفه عَنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ، والرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عن نفسه، يقولُ: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لمن ورائه، وقال قومٌ من المنافقين بعضُهم لبعض: لا تنفروا في الحر؛ زَهَادَةً في الجهاد وَشَكًّا في الحقِّ وَإِرْجَافًا برسُولِ اللَّهِ ﷺ، فأنزل الله (تبارك وتعالى) فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۚ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨١ ـ ٨٢] [١٠٥٨].

رسول الله يأمر بتحريق بيت يجتمع فيه المنافقون:

قال ابن هشام: وحدثني الثقةُ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه، عن جده، قال: بَلَغَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن ناسًا من المنافقين يجتمعون في بيتِ سُوَيْلم اليهوديِّ، وكان بيتُهُ عند جَاسُومَ[4]، يُثَبِّطونَ الناسَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ في غزوةِ تَبُوكَ، فبعث إليهم النبيُّ ﷺ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ في نَفَرٍ من أصحابه، وأمره أن يُحَرِّقَ عَليهم بَيْتَ سُوَيْلم، ففعل طلحةُ، فاقتحم

[١٠٥٨] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٨٧) رقم (١٦٨٠٣) وفي «تاريخه» (٣/ ١٠١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١٢ـ٢١٤) كلهم من طريق ابن إسحاق به.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٦ـ٧) من طريق ابن إسحاق أيضاً.

---

(١) يَصْمُدُ إليه، أي: يَقْصِدُ، يُقال: صَمَدتُ إليه: إذا قَصَدْتَ إليْه.
(٢) والشُّقَّة: بُعْدِ المسيرِ.
(٣) بني الأصْفَرِ. يعني الرُّومَ، يُقال: إنّهم من أولاد عِيصُو بْنِ إسحاق عليه السَّلام، وكان فيما يُقال مُصْفَرّ اللَّوْن، وأمّا الرُّومُ القديمةُ فهُمْ يُونانُ.
(٤) جَاسُومَ: هو اسمُ مَوْضِعِ.

الضَّحَّاكُ بن خليفة من ظهرِ البيت، فَانْكَسَرَتْ رجلُه، واقتحم أصحابُهُ فأفلتوا، فقال الضَّحَّاكُ في ذلك [من الطويل]:

كَادَتْ، وَبَيْتِ اللَّهِ، نَارُ مُحَمَّدٍ ... يَشِيطُ بِهَا الضَّحَّاكُ وَابْنُ أُبَيْرِقِ[1]
وَظَنَّتْ وَقَدْ طَبَّقْتُ كَبْسَ سُوَيْلِمٍ ... أَنُوءُ عَلَى رِجْلِي كَسِيراً وَمِرْفَقِي[2]
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لاَ أَعُودُ لِمِثْلِهَا ... أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلْ بِهِ النَّارُ يُحْرَقِ[3] [١٠٥٩]

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ جَدَّ في سفره، وأمر الناس بالجهاز والانكماش، وَحَضَّ أَهْلَ الغِنَى على النفقة والحملان في سبيل الله، فحمل رجالٌ من أهل الغنى، واحتسبوا، وأنفق عثمانُ بنُ عَفَّانَ في ذلك نَفقةً عَظِيمةً لَم يُنْفِقْ أحدٌ مثلها [١٠٦٠].

نفقة عثمان بن عفان:

قال ابن هشام: حدثني من أَثِقُ به أَنَّ عثمان بن عَفَّان أَنْفَقَ في جيشِ الْعُسْرَةِ في غزوة تبوك أَلْفَ دِينارٍ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ، ارْضَ عَنْ عُثْمَانَ، فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ» [١٠٦١].

[١٠٥٩] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن هشام وشيخ شيخه.
وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٧) من طريق ابن هشام.

[١٠٦٠] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١٤) من طريق ابن إسحاق به.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٧) من طريق ابن إسحاق أيضاً.

[١٠٦١] إسناده ضعيف.
شيخ ابن هشام مجهول ثم هو معضل؛ لأن شيخ ابن هشام لم يدرِك هذه القصة.
والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٧) من طريق ابن هشام.
أما قوله: «اللَّهُم ارضَ عن عثمان».
فذكره الهندي في «كنز العمال» (٣٢٨٤٢) عن يوسف بن سهل بن يوسف الأنصاري عن أبيه عن جدِّه.

---

(١) يَشِيطُ، أي: يَخترِق، يُقال: شاط يَشِيطُ: إذا التَهَب واخترَقَ.
(٢) طَبَّقْتُ: يعني عَلَوْتُ، كَبْسَ سُوَيْلِم: هو البيتُ الصَّغِيرُ، وقد رُوِيَ كَيْسَ بالياء، ورُوِيَ أيضاً كَيْثَر، والصَّحِيحُ كَبْسَ بالباء المنقوطَة بوَاحِدَةٍ من أسفلها والسِّين المهملة. أَنُوءُ، أي: أنْهَضُ مُتَثَاقِلاً.
(٣) ينظر: البداية والنهاية (٥/ ٧).

شأن البكائين:

قال ابن إسحاق: ثم إن رجالاً من المسلمين أَتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ ـ وهم البكَّاءون، وهم سبعةُ نفرٍ من الأنصارِ وغيرهم: من بني عمرو بن عوف: سالمُ بْن عُمير، وعُلْبة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو لَيْلَى عبدُ الرّحمٰن بن كعب أخو بني مازن بن النَّجّار، وعمرو بن حُمَام بن الْجَمُوح أخو بني سَلَمَةَ، وعبد الله بن الْمُغَفَّل الْمُزني، وبعض الناس يقولُ: بل، هو عبد الله بن عمرو المزني، وَهَرَمِيُّ بن عبد الله أخو بني وَاقف، وعِرْبَاض بن سَارِيَةَ الفزاري ـ فاستحملوا رسولَ اللَّهِ ﷺ، وكانوا أَهْلَ حَاجَةٍ، فقال: «لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ»، فَتَوَلَّوا وأَعْيُنُهُمْ تَفِيض من الدمع حَزَنًا ألا يجدوا ما ينفقون.

[قال ابن إسحاق]: فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النَّضْري لَقِيَ أبا ليلى عبد الرَّحمٰن بن كعب وعبد الله بن مغفل، وهما يَبْكِيَانِ، فقال: ما يُبْكِيكُمَا؟ قالا: جئنا رسولَ اللَّهِ ﷺ ليحملنا، فلم نَجِدْ عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نَتَقَوَّىٰ به على (٢٥٢/ ب) الخروج معه، فأعطاهما نَاضِحًا له[1]، فارتحلاه، وَزَوَّدَهُما شيئًا من تمرٍ، فخرجا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ.

قال ابن إسحاق: وجاءه الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأعراب، فاعتذروا إليه، فلم يَعْذِرهم الله (تعالىٰ)، وقد ذُكر لي أنهم نَفَرٌ مِنْ بني غِفار.

تخلف بعض المسلمين:

ثم اسْتَنَّبَ[2] برسولِ اللَّهِ ﷺ سفرُهُ، وَأَجْمَعَ السَّيْرَ، وقد كان نَفَرٌ من المسلمين أَبْطَأَتْ بهمُ النِّيَّةُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى تخلَّفوا عنه، عن غير شكٍّ ولا ارتيابٍ، منهم: كَعْبُ بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلمة، ومُرَارة بن ربيع أخو بني عَمْرو بن عَوْف، وَهِلاَلُ بن أُمَيَّةَ أخو بني واقف، وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف، وكانوا نَفَرَ صِدْقٍ لا يُتَّهمُونَ في إسلامهم، فلما خَرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ضرب عسكره عَلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاع [١٠٦٢].

[١٠٦٢] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١٨ـ٢٢٠) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٨ـ٩) من طريق ابن إسحاق.
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٦٥) بنحوه.
وفي إسناده الواقدي وهو متروك. =

---

(١) فأعْطَاهُمَا نَاضِحاً لَهُ، الناضحُ: الجَمَلُ الذي يُسْتَقَى عليه الماءِ.
(٢) واستَنَّبَ، معناه: تَتَابَع واسْتَمَرَّ.

عامل رسول الله:

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة محمدَ بن مَسْلمة الأنصاريَّ، وذكر عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِيُّ[1] عن أبيه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ استعمل على المدينةِ مَخْرَجَهُ إلى تبوك ـ سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ [١٠٦٣].

تخلف المنافقين:

قال ابن إسحاق: وضرب عبدُ الله بن أُبَيّ معه على جِدَةٍ عَسْكَرَهُ أَسْفَلَ منه نحو ذُبَاب[2]، وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين، فلما سار رسولُ الله ﷺ تخلَّفَ عنه عبدُ الله بن أُبيّ فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرَّيْب.

شأن عليّ بن أبي طالب:

وخَلَّفَ رسولُ اللَّه ﷺ عليَّ بن أبي طالب (رضوان الله عليه) على أَهْلِهِ، وأمره بالإقامةِ فيهم، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلا اسْتِثْقَالاً له وتَخفُّفاً منه، فلما قال ذلك المنافقون، أَخَذَ عليُّ بن أبي طالب (رضوان الله عليه) سِلاَحَهُ ثُم خرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ، وهو نازلٌ بالْجُرْف[3]، فقال: يا نبيَّ الله، زعم المنافقون أنك إنما خَلَّفْتَنِي أنك اسْتَثْقَلْتَنِي وَتخَفَّفْت مني، فقال: «كَذَبُوا، ولَكِنَّني خَلَّفْتُكَ لِمَا تَرَكْتُ وَرَائِي، فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهلكَ، أَفَلاَ تَرْضى يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُون مِنْ مُوسَى، إِلاَّ أَنَّه لاَ نَبِيَّ بَعْدِي» فرجع عليٌّ إلى المدينة، وَمَضَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على سفره [١٠٦٤].

= وينظر «الدر المنثور» (٣/ ٢٦٧) فقد عزاه السيوطي هناك لابن مردويه عن ابن عباس ومجمع بن حارثة بنحوه.

[١٠٦٣] ذكره الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٣) عن ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١١) عن ابن هشام.

[١٠٦٤] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١٨ـ٢٢٠) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٠ـ١١).

---

(١) هذا هو الأصح في نسبه، وقد ذُكر في «نَسَبِ عبد العزيز بن مُحمَّدٍ» الأنْدَاوَرْدِيِّ. الدّراوَرْدي هو المشْهُورُ فيه.

(٢) نَحْوُ ذُباب: ذُبابٌ هنا: اسمُ مُوضعٍ.

(٣) الجُرُفُ: موضعٌ أيضاً.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن طَلْحَةَ بن يزيد بن رُكانَة، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وَقّاص، عن أبيه سعد، أنه سمع رَسُولَ اللّهِ ﷺ يقولُ لعليٍّ هذه المقالَة [١٠٦٥].

قال ابن إسحاق: ثم رجع عليٌّ إلى المدينة، ومضى رسول الله ﷺ على سفره.

شأن أبي خيثمة:

ثم إن أبا خَيْثَمَةَ رجع بعد أن سار رسولُ الله ﷺ أيّاماً إلى أَهْلِهِ فِي يوم حَارٍّ، فوجد امرأتين له في عَرِيشَيْن[1] لهما في حائطه، قدْ رشَّتْ كلُّ واحدةٍ منهما عَرِيشَهَا، وَبَرَّدَتْ له فيه ماءً، وهيَّأَتْ له فيه طعاماً، فلما دخل قام على بابِ العريشِ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسولُ الله ﷺ في الضَّحِّ[2] والريحِ وَالْحَرّ، وأبو خَيْثَمَةَ في ظِلٍّ باردٍ وطعامٍ مُهيَّأ وَامرأةٍ حسناءَ في ماله مُقِيم!! ما هذا بالنَّصَفِ، ثم قال: والله، لا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ منكما حتى أَلْحَقَ بِرسُولِ اللّهِ ﷺ، فَهَيِّئا لي زاداً، ففعلتا، ثم قدَّم ناضِحَه فارتحله، ثم خرج في طلبِ رسولِ الله ﷺ حتى أدركه حين نَزَلَ تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيرُ بن وَهْبٍ الْجُمَحِيُّ في الطريق يطلبُ رسولَ اللّهِ ﷺ، فترافقا، حتى إذا دَنَوَا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذَنْباً، فَلاَ عَلَيْكَ أَن تَخَلَّفَ عني حتى آتي رسولَ اللّهِ ﷺ ففعل، حتى إذا دَنَا من رسولِ اللّهِ ﷺ وهو نازلٌ بـ «تبوك» قال الناسُ: هذا راكبٌ على الطريقِ مُقْبِلٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَة» فقالوا: يا رسول الله، هو والله (٢٥٣/أ) أبو خيثمة، فلما أناخ أقبل فَسَلَّمَ على رسولِ اللّهِ ﷺ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أَوْلَى لَكَ يَا أَبَا خَيْثَمَةَ»[3] ثم أَخْبَرَ رسولَ اللّهِ ﷺ الخَبَرَ، فقال له رسولُ اللّهِ ﷺ خيراً،

[١٠٦٥] إسناده حسن والحديث صحيح.

وقد صرّح ابن إسحاق بالتحديث.

وأخرجه البخاري (٧/ ٤٣٤) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ـ حديث (٣٧٠٦) ومسلم (٤/ ١٨٧٠ـ١٨٧١) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ حديث (٣٠، ٣١/ ٤٢٠٤) وأحمد (١/ ١٧٩، ١٨٥) والنسائي في «الكبرى» (٥/ ١١٩ـ١٢٥) كتاب الخصائص: باب ذكر منزلة علي بن أبي طالب، وابن ماجه (١/ ٤٢ـ٤٣) المقدمة: باب فضل علي بن أبي طالب ـ حديث (١١٥) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٤) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٤٤) والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٢٠) كلهم من حديث سعد بن أبي وقاص.

---

(١) في عَرِيشَيْن لَهُمَا، العَرِيشُ هنا: شَبيهٌ بالخَيْمَةِ يُظَلَّلُ فيكون أبْرَدَ مِنَ الأخْبِيةِ والبُيوت.

(٢) في الضَّحِّ والرِّيح، الضَّحُّ: الشَّمْسُ.

(٣) أَوْلَى لَكَ يا أَبَا خَيْثَمَةَ، أَوْلَى: كَلِمَة فيها معنى التَّهديد وهي اسمٌ سُمِّي به الفِعْلُ، ومعناها فيما قال المفسّرون: دَنَوْتَ من الهَلَكَةِ.

وَدَعَا له بخيرٍ [١٠٦٦].

قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة في ذلك شعراً، واسمه مالك بن قَيْس [من الطويل]:

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الدِّينِ نَافَقُوا ... أَتَيْتُ الَّتِي كَانَتْ أَعَفَّ وَأَكْرَمَا
وَبَايَعْتُ بِالْيُمْنَى يَدِي لِمُحَمَّدٍ ... فَلَمْ أَكْتَسِبْ إِثْماً وَلَمْ أَغْشَ مَحْرَمَا
تَرَكْتُ خَضِيباً فِي الْعَرِيشِ وَصِرْمَةً ... صَفَايَا كِرَاماً بُسْرُهَا قَدْ تَحَمَّمَا[1]
وَكُنْتُ إِذَا شَكَّ الْمُنَافِقُ أَسْمَحَتْ ... إِلَى الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّمَا[2] [١٠٦٧]

مرور النبي وأصحابه بالحجر وشأنهم فيه:

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ حين مَرَّ بِالْحِجْر نزلها واستقى الناس من بئرها، فلما راحوا، قال رسولُ الله ﷺ: «لاَ تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئاً وَلاَ تَتَوَضَّئُوا مِنْهُ لِلصَّلاَةِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الإِبِلَ وَلاَ تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئاً، وَلاَ يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ إِلاَّ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ» ففعل الناسُ ما أمرهم به رسولُ الله ﷺ، إلاَّ أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدُهما لحاجتِهِ، وخرج الآخرُ في طلب بعيرٍ له، فأما الذي ذهب لحاجته، فإنه خُنِقَ على مذهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلَيْ طيء، فَأُخْبِرَ بذلك رسولُ اللَّه ﷺ، فقال: «أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ وَمَعَهُ صَاحِبُهُ»؟ ثم دعا رسولُ الله ﷺ للذي أُصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر الذي وقع بجبلَيْ طيء فإن طيئاً أهدته لرسولِ الله ﷺ حين قدم المدينةَ، والحديثُ عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر، عن عباس بن سَهْل بن سَعْدٍ السَّاعِدِي، وقد حدَّثني عبدُ الله بن أبي بكر أن قد سمَّى له العباسُ الرجلين، ولكنه استودعه إياهما، فأبى عبد الله أن يسميهما لي [١٠٦٨].

[١٠٦٦] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٤ـ١٠٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٢٢ـ٢٢٣) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١١ـ١٢) عن ابن إسحاق أيضاً.
[١٠٦٧] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٢) من طريق ابن هشام.
[١٠٦٨] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٤٠) كلاهما من طريق =

---

(١) الخَضِيبُ: المَخْضُوبَةُ بالحِنَّاءِ، والصِّرْمَةُ هنا: جماعةُ النَّخْلِ، وصَفَايا، أي: كَثِيرةُ الحَمْل، وَأَصْلُه في الإبل يُقال: ناقَةٌ صَفِيٌّ: إذَا كانت غَزِيرةَ الدَّرِّ، وجمعُها: صَفَايَا، والبُسْرُ: التَّمْرُ قبل أن يَطِيبَ، وَتَحَمَّمَ، أي: أَخَذَ في الإِرْطَاب فاسْوَدَّ.
(٢) أَسْمَحَتْ: انقادَتْ. وَشَطْرُهُ، أي: نَحْوُه وَقَصْده، ومنه قولهُ تعالى: ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وَيَمَّمَ: قَصَدَ. وينظر البداية والنهاية (٥/ ١٢).

قال ابن هشام: بلغني عن الزُّهْرِيِّ أنه قال: لمَّا مَرَّ رسولُ الله ﷺ بِالْحِجْرِ سَجَّى ثَوْبَهُ[1] عَلى وَجْهَهُ، وَاسْتَحَثَّ[2] راحلته، ثم قال: «لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلاَّ وَأَنْتُمْ بَاكُونَ؛ خَوْفاً أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ» [١٠٦٩].

قال ابن إسحاق: فلما أصبح النَّاسُ ولا ماءَ معهم، شَكَوْا ذلك إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فدعا رسولُ الله ﷺ، فأرسل الله (سبحانه) سحابةً فَأَمْطَرَتْ حتى ارتوى الناسُ واحتملوا حَاجَتَهُمْ من الماء [١٠٧٠].

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادَة، عن محمود بن لَبيد، عن رجالٍ من بني عبد الأشهل، قال: قلت لمحمود: هَلْ كان النَّاسُ يَعْرِفون النفاقَ فيهم؟ قال: نعم، واللَّهِ، إِنْ كَانَ الرجلُ ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي عشيرته، ثم يَلْبَسُ بَعْضُهُمْ بعضاً على ذلك، ثم قال محمود: لقد أخبرني رجالٌ من قومي، عن رجلٍ من المنافقين معروفٌ نِفَاقُهُ، كان يَسِيرُ مَعَ رسولِ الله ﷺ حَيْثُ سَارَ، فَلَمَّا كان من أمرِ النَّاس بِالحجْر ما كان، ودعا رسولُ الله ﷺ حين دعا (٢٥٣/ ب) فأرسل الله السحابةَ فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا: أَقْبَلْنَا عليه نقول: وَيْحَك!! هل بعد هذا شيء؟ قال: سحابةٌ مَارَّةٌ [١٠٧١].

= ابن إسحاق.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٤) عن ابن إسحاق.

[١٠٦٩] إسناده ضعيف؛ للانقطاع بين ابن هشام والزهري، ثم هو مرسل، ومراسيل الزهري خاصة ضعيفة.

لكن الحديث صحيح.

فأخرجه البخاري (٨/ ٤٦٨) كتاب المغازي: باب نزول النبي ﷺ الحجر ـ حديث (٤٤١٩) ومسلم (٤/ ٢٢٨٥ـ٢٢٨٦) كتاب الزهد والرقائق ـ باب: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم» حديث (٣٨/ ٢٩٨٠) وأحمد (٢/ ٩، ٥٨، ٧٢، ٧٤، ١١٣، ١٣٧) وعبدالرزاق (١٦٢٤، ١٦٢٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٣٣) وفي «السنن الكبرى» (٢/ ٤٥١) والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٥٧) رقم (١٣٦٥٤) من حديث ابن عمر.

[١٠٧٠] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٠٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٣١) من طريق ابن إسحاق.

[١٠٧١] إسناده حسن.

وقد صرَّح ابن إسحاق بالتحديث.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٥ـ١٠٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٣٢) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

---

(١) سَجَّى ثَوْبَه، أي: غَطَّاهُ على وَجْهِهِ.

(٢) اسْتَحَثَّ راحِلَتَه، أي: اسْتَعْجَلَها.

ناقة النبي تضل فيقول المنافقون:

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ رَسُولَ الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّت ناقتُهُ، فخرج أصحابُهُ في طَلَبِهَا، وعند رسولِ الله ﷺ رجلٌ من أصحابه يُقال له: عُمَارة بن حَزْم، وَكان عَقَبِيّاً بَدْرِيّاً، وَهُوَ عَمُّ بني عَمْرو بن حزم، وكان في رَحْله زيدُ بن اللُّصَيْت الْقَيْنُقَاعِيُّ، وَكان منافقاً.

قال ابن هشام: ويُقال ابن لُصَيْب، بالباء.

[قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجالٍ من بني عَبْدِ الأشهل، قالوا:] فقال زيد بن اللُّصَيْت وهو في رَحْل عُمَارة، وعُمارة عند رسولِ اللَّهِ ﷺ: أَلَيْسَ محمدٌ يَزْعمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، ويُخْبِركُم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟!! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ وعمارةٌ عنده: «إِنَّ رَجُلاً قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لاَ يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي ـ وَاللَّهِ ـ مَا أَعْلَمُ إِلاَّ مَا عَلَّمَنِي الله، وَقَدْ دَلَّنِي الله عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا» فذهبوا فجاءُوا بها، فَرَجَعَ عُمَارةُ بن حزم إلىٰ رَحْلِهِ، فقال: والله، لَعَجَب من شيءٍ حَدَّثَنَاه رَسُولُ الله ﷺ آنفاً عن مقالةِ قائلٍ أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيد بن لُصَيْت، فقال رَجُلٌ ممن كان في رَحْلِ عُمَارة ولم يحضر رسولَ الله ﷺ: زَيْدٌ ـ والله ـ قال هذه المقالة قبل أن تَأْتِيَ، فأقبل عمارة على زيد يَجَأُ في[1] عُنُقِهُ ويقول: إِلَيَّ عِبَادَ الله، إن في رَحْلي لَدَاهِيَةً وما أشعر، اخْرُج أيْ عَدُوَّ الله من رحلي فلا تَصْحَبْنِي.

قال ابن إسحاق: فزعم بعضُ الناس أَنَّ زيداً تاب بعد ذلك، وقال بعضُ الناس: لم يزل مُنْهَماً بِشَرٍّ حتى هَلَكَ [١٠٧٢].

شأن أبي ذر:

ثم مضى رسولُ الله ﷺ سائراً، فجعل: يتخلَّفُ عنه الرجلُ، فيقولون: يا رسول الله، تخلَّف فلان، فيقول: «دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ الله (تَعَالَى) بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ

[١٠٧٢] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٣١ـ٢٣٢) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
وينظره «الإصابة» (٢/ ٥١١).

---

(١) يَجأُ في عُنُقِهِ، أي: يَدْفَعُ في عُنُقِهِ.

ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ» حتى قيل: يا رسولَ الله، قد تخلَّف أبو ذَرٍّ، وأبطأ به بعيرُهُ، فقال: «دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّه بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ» وَتَلَوَّم أبو ذرٍّ عَلَىٰ بعيرِهِ، فَلَمَّا أبطأ عليه أَخَذَ مَتَاعَهُ فَحَمَلَهُ على ظَهْرِهِ، ثم خرج يَتْبَعُ أَثَرَ رسولِ الله ﷺ ماشياً، ونزل رسولُ الله في بعضِ مَنَازِلِهِ، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال: يا رسولَ الله، إن هذا لرجل يمشي على الطريقِ وَحْدَهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «كُنْ أَبَا ذَرٍّ» فَلَمَّا تأمله القومُ قالوا: يا رسولَ الله، هو والله أبو ذر، فقال رسولُ الله ﷺ: «رَحِمَ الله أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ» [١٠٧٣].

قال ابن إسحاق: فحدّثني بُرَيْدَة بن سُفْيان الأسلمي، عن محمد بن كَعْب الْقُرَظِي، عن عبد الله بن مسعود، قال: لَمَا نَفَى عثمان أبا ذَرٍّ إلىٰ الرَّبَذَة، وأصابه بها قَدَرُهُ، لم يكنْ معه أَحدٌ إلاَّ امرأته وغلامه، فَأَوْصَاهُمَا أَنِ اغْسِلاَنِي وَكَفِّنَانِي، ثم ضعاني عَلَىٰ قَارِعَةِ الطريقِ، فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بكم فقولوا: هذا أبو ذرٍّ صاحبُ رسولِ الله ﷺ فأعينونا على دَفْنِهِ، فَلَمَّا مات فَعَلا ذلك به، ثم وَضَعَاه على قَارِعَةِ الطريق، وأقبل عبدُ الله بن مسعود في رَهْطٍ من أهلِ العراقِ عُمَّار، فلم يَرُعْهُمْ إلاَّ بالجنازة (٢٥٤/أ) على ظهرِ الطريقِ قد كادتِ الإبلُ تَطَؤُهَا، وَقَامَ إليهم الغلامُ، فقال: هذا أبو ذر صاحبُ رسولِ الله ﷺ فأعينونا على دفنه، قال: فاسْتَهَلَّ عبدُ الله بن مسعود يَبْكِي، ويَقُولُ: صَدَقَ رَسُولُ الله ﷺ تَمْشِي وَحْدَكَ، وَتَمُوتُ وَحْدَكَ، وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ، ثم نَزَلَ هو وأصحابه فَوَارَوْه، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قالَ له رسولُ الله ﷺ في مَسِيرِهِ إلى تبوك [١٠٧٤].

رسول الله يخبر عن مقالة المنافقين:

قال ابن إسحاق: وقد كان رَهْطٌ من المنافقين منهم وَدِيعةُ بْنُ ثابت أخو بني عَمْرو بن

[١٠٧٣] إسناده ضعيف.

أخرجه الحاكم (٣/ ٥٠) والطبري في «تاريخه» (٣/ ١٠٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٢١) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٦/ ٩٧ـ٩٨) كلهم من طريق ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان عن محمد بن كعب القرظي عن ابن مسعود به، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقَّبه الذهبي فقال: فيه إرسال.

قلت: محمد بن كعب القرظي عن ابن مسعود مرسل، ينظر «التهذيب» (٩/ ٤٢٠ـ٤٢٢).

وذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٤/ ١١٦) رقم (٤١٠٩) وعزاه لإسحاق.

وينظر «البداية والنهاية» (٥/ ١٢ـ١٣).

وقال الحافظ ابن كثير بإسناده حسن.

قلت: وفيه نظر؛ لما تقدَّم.

[١٠٧٤] تقدَّم تخريجه.

وينظر الحديث السابق.

عوف؛ ومنهم رَجُلٌ من أَشْجَعَ حليف لبني سلمة يُقال له: مُخَشِّن بن حُمَيِّر (قال ابن هشام: ويُقال: مَخْشِيّ) يشيرون إلى رسولِ الله ﷺ وهو مُنْطَلِقٌ إلى تبوك، فقال بعضُهم لبعض: أَتَحْسِبُون جلادَ بني الأصفر كَقِتال العربِ بَعْضِهم بعضاً؟! واللَّهِ، لكأنَّا بكم غَداً مُقَرَّنين في الحبالِ؛ إرْجَافاً وتَرْهِيباً للمؤمِنين، فقال مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر: واللهِ، لَوَدِدْتُ أني أقاضَى على أن يُضْرَبَ كلُّ [رجلٍ] منَّا مائةَ جلدةٍ وأنا نَنْفَلِت أن يَنْزل فينا قرآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هذه، وقد قَالَ رَسُولُ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ لعمار بن ياسر: «أَدْرِكِ الْقَوْمَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ: بَلَى، قُلْتُمْ كَذا وَكَذَا» فانطلقَ إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسولَ اللَّهِ ﷺ يَعْتَذِرُونَ إليه، فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ وَاقِفٌ على ناقته، فجعل يقولُ وهو آخذ بِحَقَبِهَا[1]: يا رسولَ الله، إنَّما كنا نَخُوضُ وَنلعب، فَأنزل الله (عزَّ وجلَّ): ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] وقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر: يا رسولُ الله، قَعَدَ بِي اسمى واسمُ أبي، وكان الذي عُفِيَ عنه في هذه الآية مُخَشِّن بن حُمَيِّر، فتسمَّى عبد الرحمٰن، وسأل الله (تعالىٰ) أن يَقْتُلَهُ شهيداً لا يعلم بمكانه، فَقُتِلَ يَوْمَ اليمامَةِ، فَلم يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ [١٠٧٥].

رسول الله يكتب أماناً لأهل أيلة:

ولما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى تَبُوك أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ[2] صاحبُ أَيْلَةَ، فَصَالَحَ رَسُول الله ﷺ، وأعطاه الجزيَةَ، وأتاه أهلُ جَرْبَاء وَأَذْرُح فَأَعْطَوْه الْجِزْيَةَ، فَكَتَبَ رَسُولُ الله ﷺ لهم كتاباً، فهو عندهم، فكتب ليُحَنَّةَ بن رؤبة: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ هٰذِهِ أَمَنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيُحَنَّةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ سُفُنِهِمْ وَسَيَّارَتِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثاً، فَإِنَّهُ يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ وَلاَ طَرِيقاً يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ» [١٠٧٦]

[١٠٧٥] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/٤٠٨ـ٤٠٩) رقم (١٦٩٢٦) عن ابن إسحاق به.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٥٤) من حديث كعب بن مالك، وعزاه لابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.
وذكره أيضاً من حديث ابن عباس، وعزاه لابن مردويه.

[١٠٧٦] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٤٧) من طريق ابن إسحاق به. =

---

(١) الحَقَبُ: حَبْلٌ يُشَدُّ على بَطْنِ البَعِير سِوَى الحِزام الذي يُشَدُّ فيه الرَّحْلُ.
(٢) يُحَنَّة بن رُؤْبَةَ: كذا وقع في الأصل، وَابنُ سِرَاجٍ يقول فيه: بَحْنَةَ حَيْثُ وَقَع.

بَعْثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَىٰ أُكَيْدِرِ دُومَةَ

ثم إِنَّ رسولَ الله ﷺ دعا خَالِدَ بْنَ الوليدِ، فبعثه إلى أُكَيْدِرِ دُومَةَ، وَهو أُكَيْدِرُ بن عبد الملك، رَجُلٌ من كِنْدَةَ كان مَلِكاً عليها، وكان عليها، وكان نَصْرَانيًا، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لخالد: «إِنَّك (٢٥٤/ ب) سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ» فخرج خالدٌ حتى إذا كان مِنْ حِصنِهِ بمَنْظَرِ العينِ وفي ليلةٍ مُقْمِرةٍ صائفةٍ، وهو على سَطْحٍ له ومعه امرأته، فباتتِ البقرُ تَحُكُّ بِقُرُونِهَا بابَ الْقَصْر، فقالت له امرأته: هل رَأَيْتَ مِثْلَ هذا قَطُّ؟ قال: لا والله، قالت: فمن يَتْرُك هذه؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بِفَرَسِهِ فَأُسْرِج له، وَرَكِبَ معه نَفَرٌ من أهلِ بيته فيهم أَخٌ لَهُ يُقال له حَسَّان، فركب وخرجوا معه بِمَطَارِدِهم، فلمَّا خَرَجُوا تَلَقَّتْهُمْ خَيلُ رسولِ الله ﷺ فَأَخَذَتْهُ، وقتلوا أخاه، وقد كان عليه قَبَاءٌ من دِيبَاجٍ مُخَوَّصٌ بالذهب، فاستلبه خالد، فَبَعَثَ به إلى رسولِ الله ﷺ قبل قدومه به عليه [١٠٧٧].

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: رأيت قَبَاءَ أُكَيْدِرٍ حين قدم به على رسولِ الله ﷺ فجعل المسلمون يَلْمَسُونَهُ بأيدِيهم وَيَتَعَجَّبُونَ منه، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَا، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هٰذَا» [١٠٧٨].

قال ابن إسحاق: ثم إِنَّ خالداً قدم بأُكَيْدِرٍ على رسولِ الله ﷺ، فَحَقَن لَه دَمَهُ وَصَالَحَهُ على الجِزيةِ، ثُم خَلَّىٰ سَبِيلَهُ، فَرَجَعَ إلىٰ قَرْيَتِهِ، فقال رَجُلٌ من طيءٍ يُقال له بُجَير بن بَجْرة

= وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢١) عن ابن إسحاق أيضاً.

[١٠٧٧] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٥/ ١٨ـ١٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٥٠) كلاهما من طريق ابن إسحاق قال: حدَّثنا يزيد بن رومان وابن أبي بكر مرسلاً.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢١ـ٢٢) عن ابن إسحاق فذكره.

وله شواهد مرسَلة عن عروة وبلال بن يحيى، أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٥١ـ٢٥٣).

[١٠٧٨] إسناده حسن.

ومحمد بن إسحاق قد صرَّح بالتحديث.

وحديث أنس به شاهد من حديث البراء بن عازب، أخرجه البخاري (٧/ ١٥٣ـ١٥٤) كتاب مناقب الأنصار: باب مناقب سعد بن معاذ ـ حديث (٣٨٠٢) ومسلم (٤/ ١٩١٦) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل سعد بن معاذ ـ حديث (١٢٩/ ٢٤٦٨) والترمذي (٥/ ٦٤٦) كتاب المناقب: باب مناقب سعد بن معاذ حديث (٣٨٤٧) وابن ماجه (١/ ٥٦ـ٥٧) المقدمة: باب فضل سعد بن معاذ ـ حديث (١٥٧) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤٣٥) وأحمد (٤/ ٢٨٩، ٣٠١، ٣٠٢) وأبو يعلى (٣/ ٢٧٣) رقم (١٧٣٠) والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ٢٤٨).

يذكر قولَ رسولِ الله ﷺ لخالد «إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ»: وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته؟ لتصديق قولِ رسولِ الله ﷺ [من الوافر]:

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي ... رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادِ
فَمَنْ يَكُ حَائِداً عَنْ ذِي تَبُوكٍ ... فَإِنَّا قَدْ أُمِرْنَا بِالْجِهَادِ[1] [١٠٧٩]

انبثاق الماء في الوادي لرسول الله:

فأقام رسولُ الله ﷺ بـ «تبوك» بِضْعَ عَشْرَةَ ليلةً لم يُجَاوِزها، ثم انصرف قافلاً إلىٰ المدينةِ، وكان في الطريقِ ماءٌ يَخْرُجُ من وَشَلٍ[2] مَا يُرْوى الراكب والراكبين والثلاثة، بوادٍ يُقال له: وَادِي الْمُشَقَّق، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَبَقَنَا إِلَىٰ ذَلِكَ الْوَادِي فَلاَ يَسْتَقِيَنَّ مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى نَأْتيه» قال: فَسَبَقَهُ إليه نَفَرٌ من المنافقين، فاسْتَقَوْا ما فيه، فلما أتاه رسولِ الله ﷺ وَقَفَ عليه، فلم يَرَ فيه شيئاً، فقال: «مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هٰذَا الْمَاء»؟ فقيل له: يا رسولَ الله، فلان وفلان؛ فقال: «أَوَلَمْ أَنْهَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى آتيه»؟ ثم لعنهم رسولُ الله ﷺ، وَدَعَا عليهم، ثم نَزَلَ فَوَضَعَ يَدَهُ تحت الْوَشَل، فجعل يَصُبُّ في يده ما شاء اللَّهُ أَنْ يصبَّ، ثم نَضَحَه به، ومسح بيده، ودعا رسولُ الله ﷺ بما شاء الله أن يَدْعُوَ به، فَانْخَرَقَ من الماءِ كما يقولُ من سمعه ما إِنَّ لَهُ حِسًّا كحسِّ الصَّوَاعِق، فَشَرِبَ الناسُ، وَاسْتَقَوْا حَاجَتَهُمْ منه، فقال رسولُ الله ﷺ: «لَئِنْ بَقِيتُمْ أَوْ مَنْ بَقِيَ مِنْكُم لَتَسْمَعُنَّ بِهَذَا الْوَادِي وَهُوَ أَخْصَبُ مَا بَيْنَ يَدَيْه وَمَا خَلْفَهُ» [١٠٨٠].

قال: وحدَّثني محمّد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمي، أَنَّ عبد الله بن مسعود كان يُحَدّث، قال: قمتُ من جَوْفُ الليلِ (٢٥٥/أ)، وأنا مع رسولِ الله ﷺ في غزوة «تبوك»، قال فرأيت شُعْلَةً من نارٍ في ناحية العسكر، قال: فَأَتْبَعْتُهَا أَنْظُرُ إليها، فإذا رسولُ الله ﷺ

[١٠٧٩] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٥٠ـ٢٥١) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر مرسلاً.

[١٠٨٠] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢٣) عن ابن إسحاق به.

وله شاهد من حديث معاذ بن جبل.

أخرجه مسلم (٤/ ١٧٨٤ـ١٧٨٥) كتاب الفضائل باب في معجزات النبي ﷺ ـ حديث (١٠/ ٧٠٦) وأحمد (٥/ ٢٣٨) وابن خزيمة (١٨) وابن حبان (٣/ ٦٢) والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٣٦ـ٢٣٧).

---

(١) ينظر البداية والنهاية (٥/ ٢٢).

(٢) يَخْرُج من وَشَل، الوَشَلُ: حَجَرٌ أوْ جَبَلٌ يَقْطُر منه الماءُ قليلاً قليلاً، والوَشَلُ أيضاً: القليلُ مِنَ المَاء.

وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو الْبِجَادَيْنِ المزني قد مات، وإذا هم قد حَفَرُوا له، ورسولُ الله ﷺ في حُفْرَتِهِ، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيَانه إليه، وهو يقول: «أَدْنِيَا إِلَيَّ أَخَاكُمَا» فَدَلَّيَاهُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا هَيأه لشقِّه قال: يقول عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنتُ صَاحِبَ الحفرةِ [١٠٨١].

قال ابن هشام: وإنما سُمِّي ذا الْبِجَادين؛ لأنه كان يُنازع إلى الإسلام فيمنعَه قومُه من ذلك ويُضَيِّقُون عليه، حتى تركوه في بِجادٍ ليس عليه غيره، والْبِجَاد: الكساءُ الغليظُ الجافي، فَهَرَبَ منهم إلى رسولِ الله ﷺ، فلما كان قريباً منه شَقَّ بِجَادَهُ باثنين، فائْتَزَرَ بواحدٍ، واشتمل بالآخر، ثم أتى رسولَ الله ﷺ، فقيل له: ذو البجادين لذلك، والبجاد أيضاً: الْمِسْحُ[1] [١٠٨٢].

قال ابن هشام: قال امرؤ القيس [من الطويل]:

كَأَنَّ أَبَانَا فِي عَرَانِينِ وَدْقِهِ كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ[2]

شأن أبي رهم:

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزُّهْرِيُّ، عن ابن أُكَيْمَةَ الليثي، عن ابن أخي أبي رُهْم الْغِفَارِي، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَارُهْمَ كُلْثُومَ بن الْحُصَيْن، وَكَانَ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشَّجرةِ، يقول: غَزَوْتُ مع رسولِ الله ﷺ غَزْوَةَ «تَبُوك»، فسهرْتُ ذَاتَ ليلةٍ معه. ونحن بالأخضر قريباً من رسولِ الله ﷺ، وَأَلْقَىٰ الله علينا النُّعَاسَ، فطفقتُ أستيقظُ وقد دَنَتْ راحلتي من راحلةِ رسولِ الله ﷺ فَيُفْزِعُني دُنُوُّهَا منه؛ مخافةَ أَنْ أُصِيبَ رجلَهُ في الْغَرْز[3]، فطفقتُ أَحُوزُ[4] راحلتي عنه، حتى غلبتني عَيْنِي في بعضِ الطريقِ ونحن في

[١٠٨١] إسناده ضعيف لانقطاعه.

محمد بن إبراهيم الحارث التيمي لم يدرك ابن مسعود.

وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٢٢) من طريق ابن إسحاق.

وقال الحافظ في «الإصابة» (٤/ ١٣٩) رواه البغوي بطوله من هذا الوجه، ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً. وهو كذلك في السيرة النبوية.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢٣ ـ ٢٤) من طريق ابن إسحاق به، وللحديث طرُق أخرى عند ابن مسنده كما في الإصابة يقوى بها الحديث.

[١٠٨٢] ينظر «حلية الأولياء» (١/ ٣٦٥) وأسد الغابة (٢/ ١٧٠) و«الإصابة» (٤/ ١٣٩).

---

(١) المِسْحُ: كساءٌ من شَعَر أسْوَدَ.

(٢) ينظر ديوانه ص (٢٥).

(٣) الغَرْزُ لِلرَّحْلِ: بمنزلة الرِّكاب للسَّرْجِ.

(٤) أحُوزُ عنه، أي: أُبْعِدُ.

بَعْضِ الليلِ، فزاحَمَتْ راحلتي راحلةَ رسولِ الله ﷺ ورِجْلُهُ في الْغَرْز، فما استيقظتُ إلاَّ بقولِهِ: «حَسٌ»[1]، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ الله، اسْتَغْفِرْ لي فقال: «سِرْ» فَجَعَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُنِي عَمَّن تَخَلَّف من بَنِي غِفَار فَأُخْبِرُهُ به، فقال وهو يسألني: «مَا فَعَلَ النَّفَرُ الْحُمْرُ الطِّوَالُ الْقِطَاطُ»[2] فحدثته بِتَخَلُّفِهِمْ، قال: «فَمَا فَعَلَ النَّفَرُ السُّودُ الْجِعَادُ الْقِصَارُ» قال: قلتُ: وَاللَّهِ، مَا أعرفُ هؤلاءِ منَّا، قال: «بَلَى الَّذِينَ لَهُمْ نَعَمٌ بِشَبَكَةٍ[3] شَدْخٌ» فَتَذَكَّرْتُهُمْ في بني غفار، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رَهْطٌ من أسلم كانوا حلفاء فِينا، فقلتُ: يا رسول الله، أُولئك رَهْطٌ من أسلم كانوا حُلَفَاءَ فينا، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مَنَعَ أَحَدُ أُولَئِكَ حِينَ تَخَلَّفَ أَنْ يَحْمِلَ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِهِ امْرَأً نَشِيطاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ أَعَزَّ أَهْلِي عَلَيَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِّي الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارُ وَغِفَار وَأَسْلَمُ» [١٠٨٣].

أَمْرُ مَسْجِدِ الضِّرَارِ عَنْدَ الْقُفُولِ مِنْ غَزْوَة «تَبُوكَ»

قال ابن إسحاق: ثم أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ حتى نَزَلَ بـ «ذي أَوَان»[4] بلدٍ بينه وبين المدينة ساعَةٌ من نهارٍ، وكان أصحابُ مسجدِ الضِّرار قد كانوا أَتَوْهُ وهوَ يتجهَّزُ إلى «تبوك»، فقالوا: يا رسول الله (٢٥٥/ب)، إنَّا قد بَنَيْنَا مسجداً لِذِي العِلَّةِ والحاجةِ واللَّيلةِ المَطِيرَةِ واللَّيلةِ الشَّاتِيَةِ، وَإِنَّا نُحِبُّ أن تأتينا فَتُصَلِّي لنا فيه، فقال: «إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالِ شُغْلٍ» أو كما قال ﷺ: «وَلَوْ قَدْ قَدِمْنَا ـ إِنْ شَاءَ الله ـ لأَتَيْنَاكُم فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ» فَلَمَّا

[١٠٨٣] إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد (٤/ ٣٤٩ـ٣٥٠) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٨٥) رقم (٤١٨) من طريق ابن إسحاق.

وأخرجه أحمد (٤/ ٣٤٩) والحاكم (٣/ ٥٩٣ـ٥٩٤) وعبد الرزاق (١٩٨٨٢) والبخاري في «الأدب المفرَد» رقم (٧٥٤) والطبراني في «الكثير» (١٩/ ١٨٣) رقم (٤١٥)، (٤١٦)، (٤١٧) وابن حبان (٧٢٥٧) والخطيب في «الكفاية» (ص ٤٠ـ٤١) والبزار (١٨٤٢ـ كشف) كلهم من طريق الزهري به.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٩٤) وقال: رواه البزار بإسنادين، وفيه ابن أخي أبي رهم ولم أعرفه، وبقية أحد الإسنادين ثقات.

والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢٤) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) حسٌ، كَلِمَةٌ معناها: أَتَأَلَّمُ، يقولُها الإنْسَانُ إذَا أُصيب بِشَيْءٍ. قال الأصْمعيُّ: هو بمعنى: أوْهُ.

(٢) القِطَاطُ: هو جمع قُطٌّ وهو الصغيرُ نَبَاتِ شَعَر اللِّحْيَة.

(٣) الذين لهم نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَدْخ: جعل شَبَكَةَ مع ما أُضِيف إليه اسمَ مكانٍ. ورواه أبو عليّ بَشَبَكة شَدَخٌ قال: وتفسيرُهُ كثيرٌ. قال الشَّيْخُ الفقيه أبو ذرٍّ رضي الله عنه: وهو على هذه الرواية صِفَةٌ لِلنَّعم.

(٤) حتى نزل بذي أوَانٍ: كذا وقع في الأصْل بفتح الهمزة، والخُشَنِيُّ يرويه بضَمِّ الهَمْزَةِ حيثُ وَقَعَ.